المقدمة

وتتكون المقدمة من:

أولا: أسباب اختيار الدراسة

ثانيا: منهج البحث

ثالثا: تقسيم البحث

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وإمام المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أجمعين، وبعد.. فإن الثورات من أوقات الأزمات ومن الأحداث الفارقة في تاريخ الأمم، ونجاح الداعية فيها مترتب ومرهون على (**فقه الأزمة**)، وهي تمثل ابتلاء على إحدى جهتين أو كلتيهما، وهما:

الأولى: امتحان للوقوف على مدى قدرات الدعاة في توجيه أفراد الأمة - عامة وخاصة - وإرشادهم لأقوم سبيل، في مثل هذه الظروف الصعبة على الأمة، الثانية: وهي الأخطر من وجهة نظري، لأنها اختبار لعقائد أفراد الأمة؛ ليميز الله تعالى الخبيث من دعاة الفتنة من الطيب من أهل التوجيه والإرشاد من السادة الدعاة الذين يعتبرون نخبة تخرِج الناسَ من الظلمات إلى النور؛ لذا فقد يظهر الإلحاد بصورة واضحة وينتشر في حالة وقوع الفتن والثورات. وسوف أبين في المقدمة النقاط التالية:

أولا: أسباب اختيار هذه الدراسة:

إن الداعية الواعي مدرك لطبيعة أوقات الثورات، فهي عصيبة على الناس، يلتبس فيها الحق بالباطل في كثير من الأحيان، ولقد أخبر عنها الرسول الكريم – ﷺ – في سنته فقال ﷺ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ»[1]، والنبي ﷺ صادق لا يكذب البشرية كلها في نصحٍ وإرشادٍ، فضلًا عن أمته والمؤمنين به، ولذا فإن من أسباب اختيار هذه الدراسة ما يلي:

١- إن قراءة الداعية البصير للواقع - قراءة واعية- في ضوء هذا الهدي النبوي يهدِّئ الثائر ويدل الحائر ويقيل العاثر ويقيم السالك على أقوم سبيل، وذلك بقراءة سليمة للواقع الثوري، مستوعبة لما فيها من خطوط عريضة ونقاط فارقة، فهل اجتاز الدعاة بأمتهم تلك الأزمة بسلام من غير منغصات فكرية أو خسائر مادية ومعنوية أو أن الأمر في حاجة إلى تقييم؟ فتلك الإشكالية هي أول سبب لاختيار تلك الدراسة بالبحث.

٢- توصيف أحوال الدعاة (**قبل وأثناء الثورة**)، بغية رصد تلك الأحوال بموضوعية وحياد؛ للاستعانة بذلك في التقييم السديد والتقويم الرشيد اللازم للدعوة والدعاة، بغرض المحافظة على موضوعية الدراسة - قدر الجهد والطاقة- فهذا مما تجدر الإشارة إليه، لأن الدراسة تحاول القيام بتوصيف أحوال الدعوة والدعاة في وقت الثورة وهو (**وقت فتنة وأزمة**) تتطلب الحيطة واليقظة ممن يواجه الجمهور.

٣- إن الدعوة الإسلامية لها موقف من الثورة، من المفترض أن يكون واضحًا للداعية البصير؛ ليتعرف عليه، حيث إنه وارد في كتب العقيدة موقف الفِرَق الإسلامية من الثورة، فكانت مظهرًا عقديًّا في عصر من العصور، الواقع يقول: إنه لا تماثل بينهما بفعل التكوين العقدي، فالمسلم السُّنِّي سُنِّية

---

(١) البخاري كتاب الفتن باب (٩) رقم: ٧١٦٨ ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب (٣) رقم: ٧٤٢٩، واللفظ لهما كلاهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

حقيقية وسطية أشعرية موقفه من الثورة مغاير لموقف الرافضي أو الخارجي أو غيرهما من الفرق؟ فلابد من بيان موقف دعاة الحق من الثورة وآليات مواجهتها بعدما تلجلجت الصدور وبلغت القلوب الحناجر.

ثانيا: منهج الدراسة:

لقد كان منهجي في الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، حيث قمت في المبحث الأول بتعريف الثورة في اللغة، ثم بينت ورود مفردة (الثورة) بمشتقاتها في القرآن الكريم والسنة المطهرة ودلالات ذلك، ثم قمت في ضوء هذا ببيان الحديث عنها عند أهل الاختصاص، ثم حاولت استخلاص تعريفها من خلال اجتهادهم.

وفي المبحث الثاني قمت بتصور سريع للثورة لدى أمهات الفرق الإسلامية، (الشيعة والخوارج وأهل السنة)، ثم بينت تصور الإسلام لها، محاولا الرد على شبهة تَرِد على الرؤية المعتدلة للثورة في مفهوم أهل السنة والجماعة الحقيقيين.

ثم قمت في المبحث الثالث ببيان أحوال الدعوة الإسلامية قبيل الثورة وأثنائها، محاولا بيان الفرق بين الدعاة العلماء، وبين خطباء الفتنة، محلّلا دور الجماعات الإسلامية وأثرها في الدعوة وعلى الدعاة من خلال ما طرأ عليهم من أحوال أثرت في الدعوة، مبينا سمات الدعاة التي أفرزتها الثورة.

وأخيرا في المبحث الرابع قمت ببيان دور الدعاة المنشود من:

(١) تحقيق الإقناع (٢) مسئولية بلاغ الرسالة، (٣) مسئولية الإصلاح،

(٤) وضع آليات الدعوة عند الاختلاف مع الائتلاف، مشيرا إلى ضرورة تحديد مفردات لها خطورة على العقلية الإسلامية، مع بيان أزمة الفكر لدى بعض الدعاة.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

تقسيم الدراسة:

في ضوء ما سبق فقد خرجت الدراسة مكوّنة من مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: تشتمل على سبب اختيار الموضوع، ومنهج الدراسة، وتقسيمها.

المبحث الأول: مفهوم الثورة في التصور الإسلامي.

المبحث الثاني: تصور الثورة عند أمهات الفِرَق الإسلامية.

المبحث الثالث: توصيف الدعوة قبل الثورة وأثنائها.

المبحث الرابع: الدعاة بين الثورة ومنهجية الدعوة عند الاختلاف

المبحث الخامس: دور الدعاة المنشود

الخاتمة: وتشتمل على النتائج والتوصيات.

ومما أرى وجوب الالتفات إليه أنني قد قمت باجتناب أمور، لم أر فائدة في عرضها بالدراسة، ومنها ما يلي:

اجتناب الحكم على الأشخاص؛ لأن الحكم على الأشخاص مخالف للسنة المطهرة، كما سيتضح أثناء البحث.

اجتناب التوصيف للحدث السياسي؛ لأن الحكم على الأحداث أو توصيفها ليس مقام دراسة دعوية.

اجتناب الحكم على الأحداث السياسية؛ فليس هذا مقامه، وله أهله المختصون ببيانه وعرضه.

وبعد.. فهذا جهد متواضع حاولت من خلاله الإسهام في هذا الموضوع، فإن كنت قد أصبت الحق - وهذا ما قصدتُ - فمن الله وحده تعالى ومن رسوله ﷺ، وإن كانت الأخرى فحسبي أني اجتهدت، والله تعالى أسأل أن يأجرني على جهدي بكرمه وعفوه، وأن يعفو عن الزلات ويقيل العثرات إنه ولي ذلك والقادر عليه.. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد - نبي الرحمة والتراحم والمرحمة- وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الأمير محفوظ محمد أبوعيشة

* * *

☎ تـلـيـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

المبحث الأول

مفهوم الثورة في التصور الإسلامي

إن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فلابد من تصور حقيقة الثورة، من خلال القيام ببيان معناها في اللغة وكشف معانيها الواردة في القرآن والسنة، ليتسنى تعريفها بعد ذلك عند أهل الذكر.

المطلب الأول: معنى الثورة في اللغة

إن مفردة الثورة مأخوذة من الفعل (ثار يَثُورُ ثَوْرًا وثُؤُورًا، وثَوْرَة وثَوَرَانًا) إذا هاج وظهر وانتشر، ومنه (ثَوْر الغضب) حِدَّته، و(ثار الغضب): احتدَّ، و(أثاره): هيَّجَه وأظهره ونشره، ومنه (ثَارَ الدُّخَانُ والغبار) أي ظهر وسطع، ومنه (أثار الأرض)، حرثَها للزِّرَاعة، ومنه أطلق (المثيرة) على بقرة الحرث لأنها تثير الأرض، ومنه قوله: (وَأَثَارُوا الأَرْضَ)[الروم]، ومنه قيل للفتنة: (ثَارَتْ وأَثَارَهَا العدو)، انتشرت، و(ثار للشر): نهَضَ إليه، ومنه ما ورد في الأثر، من قوله: «بَلْ هِيَ حُمَّى تَثُورُ أَوْ تَفُورُ»[1]، أي تنتشر بقوة في جسد المريض.

واسم الفاعل منها (الثائر): الغضبان، وقد ورد في الحديث أنه: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ»[2]، أي منتشرٌ شعر رأسِه متفرّق، ومنه (ثوَّر القرآن)، أي بَحَث عن علمه، ومنه (جبل ثَوْر)، بمكة، ومنه (ثَوْر الماء): الطحلب، وقيل: كل ما علا الماء من غثاء، ومنه (ثَوْر

(١) البخاري كتاب المرضى باب (١٠) رقم: ٥٧١٧، من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ.
(٢) البخاري كتاب الإيمان باب (٣٥) رقم: ٤٦، واللفظ له، ومسلم كتاب الإيمان باب (٤) رقم: ١٠٩، كلاهما من حديث طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ الله ﷺ.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الشفق): انتشاره، ومنه الحديث «الْوُضُوءُ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ وَلَوْ مِنْ ثَوْرِ أَقِطٍ»[1]، قطعة من الأقط، وهو اللبن المتغير بفعل حرارة الشمس، ومنه (الثَّوْر) أي الذَّكر من البقر، و(الثَّوْر) بمعنى السيد، وورد استعمال الإمام علي لتلك المفردة في قوله: (إِنَّمَا أُكِلْتُ يَوْمَ أُكِلَ الثَّوْرُ الأَبْيَض)[2]، ويقصد به عثمان ﷺ ووصفه بالأبيض لشيب في رأسه[3].

من الممكن الوقوف على دلالات الثورة في اللغة، وهي: (الهيجان والغضب والانتشار والظهور والسطوع والتفاعل مع الطبيعة والكون)، كما يمكن تحديد معنى كل من خلال السياق الذي وردت الثورة في جملتها.

المطلب الثاني: معاني الثورة في القرآن والسنة

أولا: معاني الثورة في القرآن:

وردت مشتقات (الثورة) في القرآن، واستعمل هذا المصطلح في الجانب الكوني أحيانًا للدلالة على إحياء موات الأرض، فأسند الفعل (تثير) في القرآن للرياح، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [الروم: ٤٨]، وقال: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ

---

(١) الترمذي كتاب الطهارة باب (٥٨) رقم: ٧٩، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الجمل وصفين والخوارج، باب ما ذكر في الخوارج، رقم: ٣٧٢٤٦.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، (ص٥٢١- ٥٢٣)، وانظر الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٨٤، وانظر ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (١/٢٢٨- ٢٣٠)، وانظر الفيومي، المصباح المنير، ص٥٧، وانظر الرازي، مختار الصحاح، ص٨٩، وانظر المعجم الوجيز، ص٨٩.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

﴿ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [فاطر: ٩]، وهذا جانب لاشك في منفعته للبشرية، ونفى الفعل (تثير) عن البقرة فقال: ﴿ بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ ﴾[البقرة: ٧١]، كأنه قال: لا ذلول، مثيرة وساقية، للدلالة على أنها سائبة لا تعمل ولا تثير أرضًا ولا تسقي حرثًا، وصيغة المضارع تدل على حضور واستقبال مفيد للاستمرار. كما أسند الفعل الماضي (أثرن) للخيل في الجهاد، قال تعالى: ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴾[العاديات: ٤]، أي هيَّجن غبارًا أو صياحًا[1]، وصيغة الماضي للدلالة على الثبوت.

والمرة الوحيدة التي اشتق القرآن لفظ (ثار) وأسنده للإنسان، لم يخرج عن المقصد العام الوارد في المواضع القرآنية السابقة للثورة، فقال: ﴿ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾[الروم: ٩]، أي عمَّروها وشقوها وقلبوها للزراعة وغيرها[2]، واستخرجوا منها بركاتها بزراعة وغيرها.

قد وردت مفردة الغضب لتدل على معنى الثورة حين يثور الإنسان ويهيج، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴾ [الأعراف: ١٥٠]؛ لأن الأنبياء كانوا يغضبون إذا انتهكت حرمات الله، ثم هدأت ثورة غضب موسى واستعاد قواه وباشر بلاغ رسالة ربه، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٤]؛ لأن

(١) الإمام البيضاوي، أنوار التنزيل، (٢/ ٦١٥).
(٢) انظر ابن منظور، لسان العرب، (ص٥٢١- ٥٢٣)، وانظر معجم ألفاظ القرآن الكريم، (١/ ٢١١).

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الغضب من العوارض البشرية الطبيعية، فإذا أحسن الفرد توجيه غضبه والتحكم فيه أعطى دلالة إيجابية.

ومما تجدر الإشارة إليه – في هذا المقام - ما قام به أحد المفكرين من اعتبار مصطلح (الانتصار)، في قوله تعالى: ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ [الشعراء: ٤١]، وفي قوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١]، في الموضعين يدل على الثورة، كما أشار معتبرًا الانتصار ثورة والأنصار ثوار [(١)]، لأن نصرتهم للنبي من قبيل (التغيير الثوري)، فهل هذه الدلالة على سبيل التوسع وأنها في حاجة لاستدلال عليها أم أنها صحيحة لغويًّا؟ في دلالة الانتصار على الثورة نظر من وجوه:

أولها: لأنه لا يليق بمقام القرآن وهو رسالة سلام ودعوة بالحكمة أن يدعو البشرية للانتصار ليدل على (تغيير ثوري)، ثانيها: لأن النبي ﷺ لم يفسّر انتصار أهل المدينة له بـ (التغيير الثوري)، ثالثها: لأن أهل المدينة ناصروا النبي من غير ثورة على أهلهم بالمدينة حتى بعد الهجرة، رابعها: لأن غاية الأمر أن الآية الكريمة أفادت بيان إرادة الله إلى لفت انتباه المسلمين إلى ضرورة رفع الظلم عن المظلومين، وحتمية التعاون فيما بينهم لرفع الضُّر عن المتضررين، وذلك على بعدين:

البعد الأول: البعد الاجتماعي الواقعي حيث قبل النبي ﷺ ذلك في الجاهلية من خلال ما سمي بحلف الفضول ثم أقره في الإسلام، وهو من باب الإصلاح بشرائعه المعلومة شرعًا، وأشارت إليه سورة الشورى.

(١) انظر د. محمد عمارة، الإسلام والثورة، (ص ٣٠- ٣٢).

البعد الثاني: البعد الفني من خلال الشعر، فالنبي قال لحسان: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ»[1]، وذلك حين هجت قريش رسول الله، فاستعمل النبي الشعر ليدافع عن قضية الحق والعدل، والشعر ديوان العرب، وقد أشارت إليه سورة الشعراء.

من هنا يمكننا القول: إن مصطلح الثورة وردت مشتقاته في القرآن بمعنى إيجابي، وذلك حينما يسند فعل الثورة لظواهر الكون، وحين يسند للبشر يدل على إحياء الموات وعمارة الأرض، وهذا المعنى مؤكد لمعتقد خلافة الإنسان في الأرض، وقد يعبر القرآن عن الثورة بمفردة (الغضب)، وقد تدل على حدة في الطبع، وسرعة مجاوبة الحدث، وليس الانتصار دالا على الثورة وليس الأنصار ثوّارًا.

ثانيا: مفردة الثورة في السنة المطهرة:

ورد في السنة المطهرة فعل الثورة بصيغه المختلفة الماضي والمضارع واسم الفاعل، فأسندت للسحاب والحمَّى وأضيف للرأس، ومنه حديث أنس: «فَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ»[2]، ودلالة قوله (ثَارَ السَّحَابُ) على الانتشار والفوران واضح، وعلى ذلك جرى اتفاق القرآن والسنة على هذا المعنى الدال على الخير.

---

(١) مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب (٣٤)، رقم: ٦٥٥٠، من حديث السيدة عَائِشَةَ ﵂.
(٢) البخاري كتاب الجمعة باب (٣٥) رقم: ٩٤١، واللفظ له، والنسائي كتاب الاستسقاء، باب (١٨)، رقم: ١٥٣٩، كلاهما من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

(أ) إسناد فعل الثورة إلى الأفراد:

في مواضع عديدة من السنة المطهرة قد أسند فعل (الثورة) إلى بعض الأفراد بأعينهم للدلالة على أحوال مختلفة، ومن هذا القبيل ما ورد من إسناد الفعل (ثار) إلى سيدنا بلال، فالنبي قَالَ: «يَا بِلَالُ قُمْ»، فَثَارَ مِنْ تَحْتِ سَمُرَةٍ كَأَنَّ ظِلَّهُ ظِلُّ طَائِرٍ)[1]، ثار أي قام مسرعًا من تحت الشجرة، ليدل على حالة من خفة الأداء للعمل المكلف به، وتشبيه ظلّ بلال بظلّ الطائر بجامع السرعة في كلٍّ، وهذا وصف بلال ﷺ، على لسان أبي عبدالرحمن الفهري لسرعة امتثاله لأمر النبي له بالقيام وتنفيذ أمره على أكمل وجه للدلالة على حب بلال لسيدنا الرسول ﷺ، وهو شأن معلوم من بلال وكافة الصحابة.

كما ورد في السنة المطهرة إسناد الفعل (ثار) إلى حمزة بن عبد المطلب، في حال سكره وغيبة اتزانه العقلي، ففي حديث الإمام عَلِيٍّ -كرم الله وجهه- قَالَ: (أَصَبْتُ شَارِفًا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي مَغْنَمٍ يَوْمَ بَدْرٍ، قَالَ: وَأَعْطَانِي رَسُولُ الله ﷺ شَارِفًا أُخْرَى، فَأَنَخْتُهُمَا يَوْمًا عِنْدَ بَابِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَحْمِلَ عَلَيْهِمَا إِذْخِرًا لأَبِيعَهُ، وَمَعِي صَائِغٌ مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ فَأَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى وَلِيمَةِ فَاطِمَةَ، وَحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَشْرَبُ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ مَعَهُ قَيْنَةٌ، فَقَالَتْ: (أَلاَ يَا حَمْزَ لِلشُّرُفِ النِّوَاءِ)، فَثَارَ إِلَيْهِمَا حَمْزَةُ بِالسَّيْفِ، فَجَبَّ أَسْنِمَتَهُمَا، وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا، ثُمَّ أَخَذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا)[2]، وأقصى ما يفيد قوله (فَثَارَ إِلَيْهِمَا حَمْزَةُ

---

(١) أبو داود كتاب الأدب باب (١٦٨) رقم: ٥٢٣٥، من حديث أبي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفِهْرِيَّ ﷺ، سمرة: شجرة.

(٢) البخاري كتاب المساقاة باب (١٤) رقم:٢٤١٥، واللفظ له، ومسلم كتاب الأشربة باب (١)، رقم: ٥٢٤٢، كلاهما من حديث الإمام عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ. والشارف: الناقة=

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

بِالسَّيْفِ) اعتدائه في حال سكره على مال الإمام علي، ويدل على تصرف غير مسئول منه، وذلك قبل نزول آية سورة المائدة بتحريم الخمر أبدًا.

كما أسند الفعل (ثار) لابن صياد[1]، وورد فيه: (فَرَأَتْ أُمُّ ابْنِ صَيَّادٍ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ، فَقَالَتْ لِابْنِ صَيَّادٍ: يَا صَافِ – وَهْوَ اسْمُ ابْنِ صَيَّادٍ – هَذَا مُحَمَّدٌ ﷺ، فَثَارَ ابْنُ صَيَّادٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ تَرَكَتْهُ بَيَّنَ»[2]، فمفردة الثورة تدل على معنى النهوض لغة، قال الإمام النووي عند شرحه لأول هذا الباب: (وظاهر الأحاديث أن النبي لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره، وكان في ابن صياد قرائن محتملة لذلك لم يقطع النبي بأنه الدجال) [3]، وهذا يدل على أن قوله (فَثَارَ ابْنُ صَيَّادٍ) يعني: نهض من مضجعه وقام[4]، ومعنى القيام والنهوض، لا يفيد المعنى المتبادر من الثورة عند إطلاقها، ولأن أمر ابن صياد مشتبه.

=المسنة، الإذخر: نبات طيب الرائحة، النواء: السِّمَان، القينة: المغنية، جبَّ: قطع، وبقر: شقَّ.

(١) ابن صياد أو ابن صائد سمي بهما واسمه صاف، قال العلماء وقصته مشكلة وأمره مشتبه، في أنه هل هو المسيح الدجال أم غيره؟ انظر النووي، شرح صحيح مسلم، المجلد التاسع، (١٨/ ٤٦).

(٢) البخاري كتاب الجنائز باب (٧٩) رقم: ١٣٧٠، واللفظ له، ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب (١٩) رقم: ٧٥٣٩، كلاهما من حديث عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ.

(٣) انظر الإمام النووي، شرح صحيح مسلم، المجلد التاسع، (١٨/ ٤٦)، ط دار الحديث، سنة ١٩٨٧.

(٤) الإمام النووي، شرح صحيح مسلم، المجلد التاسع، (١٨/ ٥٥).

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وقد أسندت السنة المطهرة الفعل (يثور) إلى الماء في حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهﷺ، قال: (عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ.. «فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ، فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا»)[1]، قوله (يَثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ) معناه يفور الماء من بين أصابعه بقوة وشدة وسرعة وكثرة.

من هنا ندرك أن إسناد فعل الثورة للأفراد لا يعطي المعنى المتبادر للذهن عند إطلاق الثورة، والتبادر أمارة الحقيقة كما هو معروف لدى المحققين، ولا يعطي المعنى المتعارف عليه اليوم من مفهوم (الثورة) في المجتمع.

(ب) إسناد فعل الثورة إلى جماعة من البشر:

نجد في السنة المطهرة إسناد فعل الثورة لجمع من الناس، في مواضع عدة، ولكل موضع منها مناسبة خاصة تدل على توصيف خاص للحدث، ومهما اقترب معنى الثورة الواردة بالأثر من المعنى المتبادر للذهن عند إطلاق (الثورة)، أو اقترب من معناها في العرف الحاضر اليوم، لكنها لا تنطبق عليها مطلقًا، أو تدل عليها.

فإما أن تكون ثورة الناس للتعبير عن الفرح بقدوم النبي للمدينة يوم الهجرة، ففي الحديث: (أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ لأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ الله ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَثَارَ

(١) البخاري كتاب المناقب باب (٢٦) رقم: ٣٦١٧ واللفظ له، من حيث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ. الركوة: إناء فيه ماء قليل.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الْمُسْلِمُونَ إِلَى السِّلَاحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ الله ﷺ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ)[1]، كانت ثورة المسلمين لتأييد النبي فرحًا بمقدمه للمدينة، وخوفًا عليه من اليهود لما عرف عنهم من قتل الأنبياء، وقول اليهودي: (هَذَا جَدُّكُمُ) يقصد به التذكير بإسماعيل عليه السلام أبي العرب، وفي تذكير لليهود بولادة إسماعيل من جارية، ففي سفر الخروج: (وابن الجارية سأجعله أمة لأنه نسلك)[2]، وكأن الله أنطق بالحق هذا اليهودي، ليكون تذكيرًا لقومه، لأن اليهود يكتمون البشارة بالنبي الخاتم.

وإما أن تكون ثورة الناس لطلب القوت الضروري للحياة، التي طالبنا الله بإشباعها، فقد أسند الفعل (ثار) للناس عامة، في حديث جَابِر بْن عَبْدِالله رضي الله عنهما، فقال: (أَقْبَلَتْ عِيرٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَثَارَ النَّاسُ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَأَنْزَلَ الله: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ [الجمعة: ١١])[3]، ودفع إيهام الثورة المتبادر للذهن هنا من أوجه عديدة منها ما يلي:

أولا: إن ثورة هؤلاء كانت مجرد خروج من مجلس النبي، ورد لاتعاظ الأمة بفعل هؤلاء، لأنه فعل مذموم تسبب في قدح فاعليه، وأمارة صحة ذلك تسجيل

---

(١) البخاري كتاب مناقب الأنصار باب (٤٥) رقم:٣٩٥٤، من حديث سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُمٍ رضي الله عنه، ومعنى أوفى: أتم المسير، والأُطُم: الحصن وهي بناء مرتفع، جمع آطام، والسراب: اهتزاز الأبصار وقت الظهيرة بسبب شدة الحرارة، والحَرَّة بفتح الحاء: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت وهي موضع بظاهر المدينة، انظر المعجم الوجيز، (ص٢٠، و١٤٤، و٣٠٧)، وضع مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط مطابع الشئون الأميرية، سنة ٢٠٠٦.

(٢) انظر عهد القديم، سفر الخروج، [إصحاح ٢١/ ١٣].

(٣) البخاري كتاب التفسير– سورة الجمعة، باب (٢) رقم: ٤٩٤٨، من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِالله رضي الله عنهما.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

القرآن هذا الحدث بختام الآية بقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾[الجمعة: ١١]، لبيان خطأ السائر للعير ثائرًا تاركًا لمجلس النبي الأمين صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

ثانيا: في عطف الفعل (ثار)، على (أَقْبَلَتْ) وهو إقبال العير يدل على تعقيب هذا لذاك مباشرة، كما يدل على ترقُّب وانتظار الناس لمجيء العير، فيبدو أن الثائرة من الناس قد أصابهم جهد وجدب، ليدفعهم ذلك لترك النبي ويقبلوا على العير، فلم تكن ثورة الناس هنا على شيء، إنما اهتمام للحدث وهو إقبال العير، ومعناها: (الإبل بأحمالها، فِعْل من عَارَ يَعِير إذا سار)[1]، وقد يكون بسبب الافتقار والحاجة.

ثالثا: مع هذا فلم يكن جميع الصحابة ﷺ، على درجة واحدة أو على حال نفسي واحد متطلع لزهرة الدنيا، بل استثنى جابر راوي الحديث (اثْنَى عَشَرَ رَجُلًا) ظلوا مع النبي، مما يدل على اختلاف درجات الصحابة وأحوالهم تبعا لتنوع منزلتهم أخذا من رسول الله ﷺ.

وإما أن تكون ثورة الناس للحفاظ على إحدى الضرورات الخمس، كالمحافظة على الأعراض، كما ورد في حديث اللَّجْلاَجَ[2]، فأخبر أنه: «كَانَ

---

(١) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (٢/ ٣٢٩)، ط دار إحياء الكتب العربية، الحلبي، بدون تاريخ.

(٢) اللَّجْلاَجَ العامري: قال البخاري له صحبة، وأخرج له البخاري في التاريخ والأدب المفرد وأبو داود والنسائي، وهو مولى لبني زهرة، سكن الشام ومات بدمشق، روى عن معاذ، وروى عنه ابنه خالد، وأبو الورد بن ثمامة، انظر ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، (٥/ ٥١٥- ٥١٦).

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

قَاعِدًا يَعْتَمِلُ فِي السُّوقِ فَمَرَّتِ امْرَأَةٌ تَحْمِلُ صَبِيًّا، فَثَارَ النَّاسُ مَعَهَا، وَثُرْتُ فِيمَنْ ثَارَ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ أَبُو هَذَا مَعَكِ؟»، فَسَكَتَتْ.. الحديث[1]، كانت ثورة الناس ومعهم اللَّجْلاَجَ للمحافظة على الأعراض والأنساب بالمدينة، خاصة وأن أبا الصبي أقر بالزنا واعترف بأبوته للولد، ففي بقية الحديث: (فَقَالَ شَابٌّ حَذْوَهَا: أَنَا أَبُوهُ يَا رَسُولَ الله)، كأنهما اتفقا على طلب إقامة الحد.

وإما أن تكون ثورة الناس إيجابية واردة لتنزيه المساجد عن النجاسة والقذر، كما أسند فعل الثورة للناس في قول أبي هريرة: (أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «دَعُوهُ.. »[2]، ودفع إيهام الثورة المتبادر للذهن هنا من وجهين هما:

أولا: من لوازم الغضب إهانة بيت الله بالقذر لوجوب طهارته وطهارة من دخله، لقوله: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨]، وهذا الغضب يستلزم إظهارا لاهتمام بالأمر.

ثانيا: كانت ثورة الناس إيجابية لاستبعاد جهل الأعرابي بوجوب طهارة المسجد، ولتعليمه تنزيه بيت الله تعالى عن الوسخ والقذر، فلم تكن ثورة الناس على الأعرابي لشخصه.

---

(١) أبو داود كتاب الحدود باب (٢٤) باب رجم ماعز بن مالك، رقم:٤٤٣٧، من حديث اللَّجْلاَجَ ﷺ.

(٢) البخاري كتاب الأدب، باب (٨٠) رقم: ٦١٩٦، من حديث أبي هريرة ﷺ.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وإما أن تكون ثورة المسلمين فيما سيكون آخر الزمان، ففي الحديث الذي رواه أبو داود: «وَيَثُورُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَسْلِحَتِهِمْ فَيَقْتَتِلُونَ فَيُكْرِمُ اللهُ تِلْكَ الْعِصَابَةَ بِالشَّهَادَةِ»[1]، ودفع إيهام الثورة المتبادر للذهن هنا أيضًا من وجهين هما:

أولا: هذا حديث من أشراط الساعة المبينة لعلاقة المسلمين بالروم – في آخر الزمان- فهو خبر سيقع بعد؛ فلا يصح اعتباره للاستدلال عليه بواقع اليوم لأن فعل الثورة ليس من الأفعال التي وقعت بالفعل.

ثانيا: إن الخبر يدل على أن ثورة المسلمين آخر الزمان عصبية للحق، بدليل قوله: (فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيبَ فَيَقُولُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ) [2]، فوقوع غضبة للمسلمين بسبب مقالة قالها متعصب رومي.

وإما أن تكون ثورة الناس أشبه بمظاهرة تأييد وحب للنبي وإجماع على براءة أم المؤمنين عائشة زوج النبي ﷺ، ففي حديث الإفك ورد قول السيدة عائشة: (فَثَارَ الْحَيَّانِ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا، وَرَسُولُ الله ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَنَزَلَ فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ)[3]، ودفع إيهام الثورة المتبادر للذهن هنا من وجهين هما:

---

(١) أبو داود كتاب الملاحم، باب (٢) باب ما يذكر من ملاحم الروم، رقم:٤٢٩٥، من حديث حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ ﷺ.

(٢) أبو داود كتاب الملاحم، باب (٢) باب ما يذكر من ملاحم الروم، رقم:٤٢٩٤، من حديث ذِي مِخْبَرٍ ﷺ.

(٣) البخاري كتاب الشهادات باب (١٥) رقم:٢٧٠٠، واللفظ له، ومسلم كتاب التوبة باب (١٠) رقم: ٧١٩٦، كلاهما من حديث السيدة عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

أولا: إن اعتبرها البعض ثورة نابعة من عصبية الجاهلية، فقد خفَّضهم الرسول، أي أخذ يهدئ من روع الثائرين ساعيًا في وأدها قبل اتِّساع خرقها حتى سكتوا، والسنة حرمت العصبية، قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ»[1]، وهذا يدل على ضرورة تهدأة الثائر، ثانيًا: اعتبار ثورة الحيين فعل إيجابي للنبي وزوجه بناء على الاختلاف في معاقبة النبي لعبدالله بن أبي بن سلول[2]، رأس المنافقين الذي تولى كبر الإفك.

ومن آثار الصحابة الواردة التي أسندت فعل الثورة لدارس القرآن ما ورد من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ، قال: «إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين»[3]، وهو دال على تمام الإحاطة والفهم للقرآن الكريم.

ومن المفردات الواردة في السنة والدالة على معنى الثورة مصطلح (الفتنة)، ويدل على الثورة إسناد النبي فعل الثورة إلى (الفتنة)، مشيرا لما سيكون في عهد سيدنا عثمان، ففي حديث مرة البهزي، قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة، قال: «كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار

---

(١) أبوداود كتاب الأدب باب (١٢٢)، رقم: ٥١٢٣، واللفظ له، من حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ، ومسلم كتاب الإمارة باب (١٣)، رقم: ٤٨٩٨، من حديث جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِاللهِ الْبَجَلِيِّ ﷺ.

(٢) عبدالله بن أبي بن سلول: كان أحد قادة الخزرج بالمدينة، ورد بالسيرة النبوية كشخصية معادية للنبي والإسلام والمسلمين، فكان منافقا يهادن ظاهرا ويبطن الكفر والعداوة، وقد فضحه القرآن في كتابه في سورة سورة (المنافقين) ونزلت آياتها فيه، انظر النيسابوري، أسباب النزول، ص٣٦٦.

(٣) القاسم بن سلام، فضائل القرآن، باب فضل علم القرآن والسعي في طلبه، رقم: ٦١، موقوفا على ابن مسعود ﷺ.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الأرض كأنها صياصي البقر ؟» قالوا: نصنع ماذا يا نبي الله؟ قال: «عليكم بهذا وأصحابه»، قال: فأسرعت حتى عطفت إلى الرجل، قلت: هذا يا نبي الله؟ قال: «هذا»، فإذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه[1]، مما يدل على أن الثورة قرينة الفتنة، ومعنى الفتنة: (ما يتبين به حال الإنسان من الخير والشر)[2]، وكأن الثورة فتنة وابتلاء يختبر الله به عباده المؤمنين، فتكون من باب قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران:١٧٩].

(ج) دلالة الثورة في القرآن والسنة:

بعد التطواف حول نصوص الكتاب والسنة التي ورد بها مشتقات فعل الثورة، يمكننا بيان أمور في الغاية من الأهمية، تتبين من خلال الأمور التالية وهي:

الأمر الأول: باستقراء معجمي لمفردة (الثورة) تبين أنها لم ترد معرّفة بـ(أل) مطلقا في القرآن والسنة، للدلالة على الجنس أو الشخص أو غيرهما، إنما وردت بمشتقاتها الماضي والمضارع وصيغة اسم الفاعل، وهذا يدل على نفي وجود معناها المتبادر منها للذهن.

---

(١) ابن حبان، في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب ذكر الخبر الدال على أن عثمان عند وقوع الفتن على حق، رقم: ٧٠٢٤، من حديث مرة البهزي رضي الله عنه، وصياصي البقر: قرونها.

(٢) الجرجاني، التعريفات، ص٢١٢.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الأمر الثاني: يمكننا القول باستقراء نصوص الكتاب والسنة أن دلالة فعل (الثورة) بمشتقاته ورد على جهتين: الأولى: وردت لتدل على معان إيجابية ومنها: للدلالة على المظاهرة التأييدية للنبي عند الهجرة وعند نزول براءة السيدة عائشة، والدلالة على إظهار الاحتياج للقوت الضروري، وللدلالة على إظهار الاعتراض على حدث أو فعل كثورة الصحب على من بال في المسجد، وللدلالة على إحياء الموات والعمران، المؤكِّد لخلافة الإنسان في الأرض وهذه معان كلها إيجابية للثورة، إذن للثورة معنى إيجابي مراد، مرادف للنهوض والتحضر مأخوذ من إثارة الأرض، ومنه الاستثارة لصناعة الحضارة.

الجهة الثانية: وردت لتدل على معان سلبية، تفيد الهيجان والافتتان والأنانية والمادية والعصبية والغضب عند وقوع فتنة بين الناس وانتشار الغضب، وهذا ورد في السنة المطهرة خاصة، إذن المعاني السلبية للثورة غير مراد شرعا لأن معناها مرادف للفتنة والعصبية، وهي معان لم يرحب بها الإسلام، فلم ترد في القرآن إلا لذمها، كما نهى النبي عن العصبية.

الأمر الثالث: لم ترد الثورة في القرآن والسنة على المعنى المتبادر عليه عند إطلاق الثورة، والمعاني المتبادرة للذهن عند إطلاق مفردة الثورة، (**الهيجان وانتشار الفوضى وسرعتها، وتداخل الأقوال والآراء وفوضوية الحدث وعشوائية السلوك وانعدام النظام والانضباط، وانعدام الفكر المنظم المنضبط، والتعبير عن الرأي بصورة فجة عدوانية..إلخ**)، لأنه لم يتبادر لذهن المخاطب عند إطلاق مفردة الثورة في القرآن والسنة.

الأمر الرابع: لم ترد الثورة في القرآن والسنة على المعنى المتعارف عليه في المجتمع أو بين الشعوب، من (انعقاد محاكم ثورية واستحلال الدماء والأموال..إلخ)، وأرى أنه يعتبر من العرف الذي تعارف عليه البشر حديثا من

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

مفـردة الثـورة، بسـبب مـا وقـع مـن ثـورات في التـاريخ البشـري، في بلـدان عديـدة كـالثورة الفرنسـية، والروسـية، والصـينية، والإيرانيـة.. إلـخ، وقـد حـدث فيهـا بعض هذه الأمور فصارت عرفا متعارفا عليه عند إطلاق مفردة الثورة.

المطلب الثالث: تعريف الثورة

(أ) الثورة في الفلسفة الماركسي:

بداية مما أراه غير معتبر عند تعريف الثورة، ما ورد عند الفلسفة الماركسية من الثورة الاشتراكية، فهذا لا يصلح اعتباره بالمرة، لقيامه على استمرارية الثورة كإحدى وسائل النمو والتطور الاجتماعي، حيث تهدف للقضاء على استغلال الإنسان لأخيه، وهذا الاعتبار فيه نظر للأدلة التالية:

أولًا: إهباط الله آدم للأرض للاستقرار قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[البقرة: ٣٦]، وهذا يغاير تمام المغايرة بل يصادم مفهوم الثورة في الفلسفة الماركسية على سبيل دوامها على الإطلاق.

ثانيًا: منهج الثورة في المفهوم الماركسي أن الغاية تبرر الوسيلة، وهذه رؤية غير راشدة مخالف للرؤية الإسلامية في خلافة الإنسان وللفطرة السليمة.

ثالثا: لأن الثورة على هذا المفهوم تحمل معنى الحدث العظيم الخطر، الذي لا يسلم من عواقب سيئة كسفك الدماء واستحلال الأعراض والأموال، وتحمل معاني العصبية والغضب والهرج، وهذا يدل على انطماس الفطرة.

رابعًا: أثبت الواقع فساد تلك الشعارات الرنانة[1].

(ب) الثورة في الوعي الغربي:

(١) انظر د. حسن محرم الحويني، قيمة الفلسفة الماركسية من خلال رؤية إسلامية، (ص٨٥- ٩١).

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ورد في المعجم الفلسفي ما يعبر عن الثورة في المفهوم الغربي وهي: (نقطة تحول في حياة المجتمع لقلب النظام البالي وإحلال نظام تقدمي جديد محله)[1]؛ وهذا التعريف اعتبر الثورة انقلابًا فاجتزأ مفهوم الثورة في تيار فكري معين، واختزلها في منحى واحد فلا يصلح، كما ورد في المعجم الوجيز أن الثورة هي: (تغيير أساسي مفاجئ في الأوضاع السياسية والاجتماعية يقوم به الشعب أو فريق منه في دولة ما)[2]، لكن هذا التعريف خلا من اعتبار دوافع الثورة.

(ج) الثورة في الوعي العربي:

وضع الدكتور محمد عمارة تعريفًا للثورة وبين مراده منها، فقال: (مرادنا بالثورة هي: العلم الذي يوضع في الممارسة والتطبيق من أجل تغيير المجتمع تغييرًا جذريًّا وشاملًا والانتقال به من مرحلة تطورية معينة إلى أخرى أكثر تقدمًا)[3]، ووجهة نظر المؤلف أنها محرمة لكن تبيحها الضرورة، لأن (الضرورات تبيح المحظورات)، لكنه اعتبر أن الثورة (علم وتخطيط من أجل تغيير المجتمع)، ولا يخلو هذا من تكلُّف المخاطرة بمقدرات المجتمع، ويؤدي لإحداث مؤثرات في البلاد على العباد، كما أن في هذا خروج واضح عن رؤية أهل السنة والجماعة.

(د) المعنى الراجح للثورة:

---

(١) انظر المعجم الفلسفي، ص٥٨، وانظر د. سامي خشبة، مصطلحات الفكر الحديث، (ص٢٧٣- ٢٧٤).

(٢) انظر المعجم الوجيز، ص٨٩.

(٣) انظر د. محمد عمارة، الإسلام والثورة، ص١٠.

بناء على ما للثورة من معنى إيجابي وارد في الكتاب والسنة، فمن المفيد الطواف حول هذا المعنى العام قبل تعريف الثورة، فقد قال الأستاذ العقاد في صدد بيانه لمطالب الأمم: (يبدو أن مطالب الأمم وضروراتها تفرض نفسها في شعار كل ثورة من ثوراتها، فلا تمتاز كل ثورة بشعارها الخاص لأنه نغمة محبوبة أو كلمات رنانة تغني عنها كلمات تماثلها رنة ونغمة، إنما تمتاز بشعارها الخاص؛ لأنه تعبير عن كيانها ووجهتها والبواعث التي تمليها)[1]، وهذا الكلام في غاية الدقة، يوحي بتعريف الثورة للتعبير عن مبادئ وقيم إصلاحية.

ويمكننا تصور معنى الثورة ليتسنى وضع تعريف مناسب لها يتفق مع مبادئ الإسلام نقف عليه ليستقر وضعه في الفكر الإسلامي، ويسهل استيعاب المجتمع المسلم له، ففي ضوء كلام الأستاذ العقاد يمكن القول بأن الثورة: (تغيير عام في المجتمع بغية إقامة مبادئ مفتقدة لأسباب دافعة وأهداف مرجوة)، فهذا هو المتبادر عند إطلاق الثورة، فما من ثورة قامت بين الناس في التاريخ القديم أو الحديث - إيجابية كانت أو سلبية- إلا وهي تحمل من المبادئ والقيم – مقبولة أو مرفوضة - التي تبغي إحلالها محل قيم أخرى ثبت فشلها وإخفاقها من وجهة نظر الثائرين، ثم لا تسلم من انتقاد واعتراض الجمهور عليها.

(١) انظر عباس محمود العقاد، فلسفة الثورة في الميزان، ص٧.

المطلب الرابع: تصور الثورة في الفكر الإسلامي

بعد استخراج قابل لمعنى الثورة في اللغة، ويتبادر للذهن عند الإطلاق، ومن خلال هذا التعريف نحاول قياس مدى مناسبته للرؤية الإسلامية عقيدة وشريعة، فنقول تتضح الرؤية الإسلامية في الأمور الآتية:

الأمر الأول: إن التصور الإسلامي العام قد استوعب معاني الثورة، ونلاحظ في رؤية الإسلام للثورة وباستقراء إسناد فعل الثورة (ثار ويثور..)، في الكتاب والسنة يتبين لنا أن الثورة افتعال الرياح في السماء لإرسال الغيث للعباد، وأنها انتشار في الأرض بغية إحياء الموات وعمارة الأرض، واستخراج كنوزها، فهي تعني الإثارة لصناعة الحضارة، وليست مجرد انتقاد واعتراض.

الأمر الثاني: إن الإسلام دين يسعى للتغيير الإصلاحي لأحوال الفرد، ويبدو ذلك في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد: ١١]، فالثورة تعبير عن حدث فردي، ليكون تغييرًا نفسيًّا، من باب الرياضة النفسية لتغيير الفرد سلوكياته، ويتميز من خلالها الخبيث من الطيب، وقد تبدو آثار ثورة الفرد على نفسه في بعض مظاهرها على المجتمع أو لا تبدو.

الأمر الثالث: إن الإسلام دين يسعى للتغيير الإصلاحي لأحوال المجتمع المختلفة على كافة أبعاد الإصلاح، بصورة عاقلة حكيمة، بواسطة شرائع عديدة نتبينها فيما سيأتي، من غير لجوء إلى حدوث طفرة، وتغيير ثوري هائج وفوضوي غاشم، يقوم على عشوائية الحدث، لأن الإسلام دين قام على القناعة والإقناع، لذا شرع الإصلاح بكل وسائله الشرعية ومن أهمها (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) لكن بضوابطه وشروطه المعلومة، ومن أهله المصرح لهم

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

شـرعًا وقانونًـا بـذلك حتـى لا يترتـب علـى إزالـة المنكـر منكـرات أكـبر وفـتن أخطر.

والإسـلام الحنيف أحاط طلـب الإصـلاح بالعديـد مـن التشـريعات، منهـا: (العمـل علـى تحقيـق المسـئولية والجـزاء، كـلٌّ بمـا يناسـب موقعـه لأن المسـئولية جـزء أصـيل مـن المكـوِّن العقلـي للمسـلم، ومنهـا: إسـداء النصـح، والعمـل علـى تحقيق التنمية المستدامة المطلوبـة، وتـرك مظـاهر التخلـف والفسـاد والضـعف)، وهذه الأعمال فرض على الأمـة كلِّهـا مـن مظـاهر الإصـلام مـن خـلال التشـريع المعتبر، فضلا عن تغيير المرء لأدواء نفسه.

لكـن هـل اتحـدت تصـورات الفِـرَق الإسـلامية حـول الثـورة أم تعـدّدت؟ هذا ما سوف أحاول عرضه في المبحث القادم.

* * *

المبحث الثاني

تصور الثورة عند أمهات الفرق الإسلامية

إن عرض رؤى أمهات الفرق الإسلامية بغية استجلاء تصوراتهم ومدى علاقتهم بالثورة وموقفهم منها.

المطلب الأول: الثورة عند الشيعة

إن فرقة الشيعة هم من شايعوا الإمام عليًّا –كلام الله وجهه- ليسوا فرقة واحدة بل منهم الشيعة الزيدية، والشيعة الإمامية الإثنا عشرية، (الرافضة)، والشيعة الإسماعيلية الباطنية، وفي العموم بلغ فقه الثورة على الحاكم الظالم عند الشيعة مبلغ العقيدة والواجب الشرعي، وقد استدلوا على رؤيتهم بالكتاب، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[البقرة: ١٢٤]، فمن الواضح أن الله تعالى جعل إبراهيم إماما، ثم عهد إليه ألا ينال الظالم عهده، قال دليب هيرو: (أخذ علماء الشيعة بهذا (التعهد) بمحاولة مكافأة الناس المظلومين، ويستخرجون المفاهيم الذهنية عن عودة الإمام المختفي ومجيء المهدي)[1].

كما يحلو للشيعة الاستدلال على معتقدهم هذا بقول الله: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص: ٥]،

(١) انظر دليب هيرو، الأصولية الإسلامية في العصر الحديث، ترجمة عبدالحميد فهمي الجمال، (ص٢٥٠)، ط الهيئة المصرية ضمن سلسلة تاريخ المصريين رقم (١٠٧)، سنة ١٩٩٧.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وقوله: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾[الأنبياء: ١٠٥]، ومن الواضح أن استدلالهم بما ورد من خبر عن موسى وقومه، أو كتِب في الزبور لداود لا وجه له، لأنه شرع من قبلنا، والأمر عقيدة فيجب النص عليها، وإلا يكون اعتقادًا لهم، حاصلًا بالنفس شديد الخصوصية بهم، وهذا تأويل غير صحيح لمعتقد فاسد.

قال دليب هيرو: (يتمسك علماء الشيعة بأنه إذا كان الحاكم ظالما فينبغي الإطاحة به)[1]، هناك أحداث وقعت في عصر بني أمية تارة، وفي عهد العباسيين أخرى، أفرزت حالة من الهيجان والغضب حتى خرج الإمام الحسين بن علي ﷺ على فساد يزيد بن معاوية، بغض النظر عن المشكلة بين البيت الهاشمي والبيت الأموي المشار إليها من ابن خلدون في مقدمته وغيره، وسوف أعرض لذلك لنرى رؤية هؤلاء الأئمة في الخروج.

وأما أهل السنة فلم يغفلوا عن تلك الدلالة من الآية في (الإمام والتعهد)، فاعتبروا الإمامة بمعنى القدوة، وقد ورد في تفسير هذه الآية عند أهل السنة: (جعلناك للناس إماما يأتمون بك في الخصال، ويقتدي بك الصالحون.. واستدل جماعة من العلماء بهذه الآية على عصمة الأنبياء، وأن الإمام يكون من أهل العدل والإحسان والفضل مع القوة على القيام بذلك، وهو ما أمر النبي –صلى الله عليه

(١) انظر المرجع السابق، نفس الصفحة.

وآله وسلم- به عند البيعة، وفيه: (وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ) [1]، وأما أهل الفسوق والجور والظلم فليسوا له بأهل، لقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، لهذا خرج ابن الزبير والحسين بن علي، وخرج خيار أهل العراق على الحجَّاج)[2]، هذا فهم أهل السنة لتلك الآية التي يستدل الشيعة من خلالها على مشروعية الخروج والثورة على الحاكم، وفيما يلي توضيح ذلك:

أولا: الإمام الحسين بن علي ﷺ:

الإمام الحسين بن علي ﷺ، حفيد الرسول وسبطه وريحانته ومن أصحابه، وسيد شباب أهل الجنة، فلم يكن عمل الإمام الحسين خروجًا على الحاكم، أو ثمة ثورة بالمعنى المتبادر منها، إنما بايعه الناس لما رأوا فيه أهلية الخلافة بعد موت معاوية، فاجتهد فأخطأ على أعلى تقدير، خاصة لما عرف عن يزيد من الفسق والظلم، ولا أرى وجها لقول ابن خلدون: (رأى الحسين ﷺ أن الخروج على يزيد متعيِّن من أجل فسْقه، لاسيما من له القدرة على ذلك، وظنها من نفسه بأهليته وشوكته، فأما الأهلية فكانت كما ظن وزيادة، وأما الشوكة فغلط فيها؛ لأن عصبية مضر كانت في قريش، وعصبية قريش في عبد مناف، وعصبية عبد مناف في بني أمية تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس، ولا ينكرونه..)[3]، فهذا التحليل

---

(١) ورد هذا في حديث البيعة، مسلم كتاب الإمارة باب (٨) رقم: ٤٨٧٧، من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ.

(٢) الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد الأول، (١/ ٥١٩- ٥٢٠)، وانظر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (١/ ٨٥- ٨٦).

(٣) عبدالرحمن بن خلدون، المقدمة، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، (٢/٥٩٩).

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

لا يليق بالإمام الحسين ﷺ، فلم ينظر للأمر على أنه شوكة وغلبة وعصبية، بل خرج ناصحًا أمينًا وتم اغتياله واستحلال دمه ودم من معه، ونطق بذلك ابن خلدون فقال: (الصحابة الذين كانوا بالحجاز والشام رأوا أن الخروج على يزيد – وإن كان فاسقا– لا يجوز لما ينشأ عليه من الهرج والدماء، فقصروا عن ذلك، ولم يتابعوا الحسين ولم ينكروا عليه، ولا أثَّموه؛ لأنه مجتهد وهو أسوة المجتهدين)[1]، كيف وقد شهد رسول الله ﷺ له بالجنة؟! وكل الصحابة عدول مشهود لهم بالعدالة.

إن خروج الإمام الحسين ﷺ، قد اتبع فيه قول رسول الله ﷺ«أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»[2]، ويكفي هذا مستندًا للاجتهاد في الخروج، إذ رأى ظلمًا فاشيًا تحت سمع وبصر يزيد بن معاوية، وهذه الرؤية للإمام الحسين ﷺ، والله أعلم، ومعلوم في الشريعة أن المجتهد مأجور سواء أصاب أو أخطأ، لكنه ﷺ لم يخطئ في اجتهاده، لأن خروجه لم يكن دعوة لفتنة، أو عصبية لدم، إنما كان اجتهادًا لتحقيق العدل في الأمة ببذل واجب النصح بشروطه، ولا يمكن قياس خروج غير الإمام الحسين ﷺ على خروجه لوجود الفرق بينهم في النية والقصد وفي الاجتهاد.

---

(١) المرجع السابق، (٢/٦٠٠).

(٢) أبو داود، كتاب الملاحم، باب (١٧)، رقم: ٤٣٤٦، واللفظ له، والترمذي كتاب الفتن باب (١٣)، رقم: ٢٣٢٩، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، والحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم، رقم: ٨٦٢١، كلهم من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، والنسائي كتاب البيعة باب (٣٧) رقم: ٤٢٢٦، عن رجل لم يسم، سَأَلَ النَّبِيَّ أَىُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟

ثانيا: الإمام زيد بن علي ﷺ:

الإمام زيد بن علي بن الحسين[1]، من علماء آل البيت، وسليل البيت الحسيني، كان معتقدا الخروج كأداة للتغيير والدعوة، لكنه لم يغفل البلاغ الشفاهي كأداة للدعوة كذلك، وكان ورعًا زاهدًا تقيًّا، آمرا بالمعروف، منتقدا للأوضاع المنكرة من الحكام في عصره، وكان الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي، رأس الشيعة الزيدية، وكانت الزيدية ترى أن (الخروج أصل من أصول المطالبة بالإمامة، والمقصود بالخروج هنا حمل السيف ومقاومة الأمويين المغتصبين للحكم)[2]، ويحكي التاريخ خروج الإمام زيد بن علي بن الحسين، فقد قال ابن كثير: (بايع أهل الكوفة زيد بن علي بن الحسين سنة ١٢٢هـ وأمرهم بالخروج معه، فانطلق سليمان بن سراقة لنائب العراق فأخبره خبر زيد ومن معه، فبعث يطلبه ويلح في طلبه، فعلمت الشيعة الإمامية بذلك فأتوا زيدًا وسألوه: ماذا تقول في أبي بكر وعمر؟ وسألوه أن يتبرأ منهما فقال: ما سمعت أحدا من أهل بيتي تبرأ منهما، ولا أقول فيهما إلا خيرا، فجادلوه حتى رفضوه فسموا بالرافضة من

---

(١) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، (٨٠- ١٢٢هـ)، الهاشمي العلوي، أمه (أم ولد) هندية، ما كانت حياته خروجا ومطالبة بالخلافة، وكان أخًا لجعفر الباقر، وعبد الله، وعمر، وعلي، وحسين، روى عن أبيه زين العابدين، وعن أخيه الباقر، خرج= =فاستشهد، حيث وفد على نائب العراق يوسف بن عمر، فأحسن جائزته، ثم رده، انظر ابن كثير البداية والنهاية، المجلد الخامس، (٩/ ٣٤٢- ٣٤٤)، وابن حجر، تهذيب التهذيب، (٢/ ٦٢١).

(٢) انظر د. فيصل عون، تقديم كتاب الجواب الناطق الصادق بحل شُبَه كتاب الفائق، محمد القرشي، (ص٤٢)، وانظر د. مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، (ص٢٢٧- ٢٣٠).

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

يومئذ، ومن تابعه سموا بالزيدية، ثم عزم زيد على الخروج بمن بقي معه من أصحابه.. فاقتتلوا حتى رمي زيد بسهم فأصاب جبهته اليسرى فكانت وفاته فيه، ثم دفنوه وأخفوا قبره، وجاء مولى لزيد سندي قد شهد دفنه فدل يوسف بن عمر على قبره)[1]، لكن فكر زيد قد يكون له وجه، فمن الواجب أن نقول: إن الإمام زيدًا لم يكن داع لعصبية، بل كان مجتهدًا في خروجه، خاصة وأنه لم يطاوع الرافضة في التبرؤ من الشيخين أبي بكر وعمر بل شهد لهما بالصلاح.

وفي تحليل للإمام أبي زهرة، قال: (إن الإمام زيدًا أراد أن ينهي حال العزلة التي اعتزل فيها آل البيت الاتصال بالناس سياسيًّا، وبث دعوتهم فيهم، بعدما اختار أبوه العزلة بعد الصدمة، وكانت عزلته تنبئ عن حالة يائسة من النصرة والتأييد، لأنهم ابتلوا بأنصار ليست لهم عزيمة ولا صبر، أما زيد فرأى الخروج عن العزلة والاتصال بالناس)[2]، هذا التحليل النظري لخروج الإمام زيد، الذي ذهب إلى العراق كثيرا، وتعرف على الشيعة منهم، ولأن هشام بن عبد الملك[3]، أوقعه في الحرج مرات، فعلى أي حال: هل كان خروج زيد لتحقيق

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، المجلد الخامس، (٩/ ٣٤٢- ٣٤٤).

(٢) الإمام محمد أبوزهرة، الإمام زيد (حياته وعصره – آراؤه وفقهه)، (ص٥٩)، وانظر د. عبدالحليم محمود، التفكير الفلسفي في الإسلام، (ص١٣٠- ١٣١).

(٣) هشام بن عبد الملك الأموي: (٧١- ١٢٥هـ)، عاشر خلفاء بني أمية، بويع بالخلافة بعد وفاة يزيد، وتزايدت في عهده العصبية القبلية، واشتعلت فتن وثورات عديدة في أنحاء الدولة، كثورة الخوارج والشيعة الزيدية، وبلغت دولة الإسلام في عهده أقصى اتساع لها، واستولت جيوشه على ناربونه وبلغت أبواب بواتيه (فرنسا) حيث وقعت معركة بلاط الشهداء، انظر ابن كثير البداية والنهاية، المجلد الخامس، (١٠/ ص٣- ٧).

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

مبدأ من المبادئ يراه ويقتنع به، أو كان لهذا الخروج دوافع أخرى؟ فإن هذا لن يغير من الواقع شيئًا؛ لأن التاريخ يحكي لنا خروج الإمام زيد، وأنه قتل بالعراق بسبب خروجه بالفعل على الأمويين، لندرك هذا في فكر خاص بالإمام زيد اجتهد فيه برأيه ﷺ، وأخذت الشيعة الزيدية تقلده في هذا المبدأ من بعده.

ثالثا: ولاية الفقيه عند الشيعة الإمامية:

فقه الثورة عند الشيعة من نظرية تسمى بـ (ولاية الفقيه)[1]، فقد كان من علماء الشيعة الإمامية من يسمون بـ (الإخباريين) حيث اهتموا بنقل أخبار الأئمة، وكانوا مؤتمنين على حفظها وبلاغها، وظلوا على ذلك قرونًا طوال، دون أدنى اجتهاد، حتى بدأ ظهور الدعوة للاجتهاد على (الأصوليين) الذين رأوا ضرورة للاجتهاد، وكان أول من دعا للاجتهاد (محمد بكير بهبهاني ١٨٧٠م)، وارتكز رأيهم في أنه مادام المجتهدون يستمدون سلطتهم من الإمام المختفي، فإنهم بذلك يكونون مخولين لتفسير الشريعة، فلهم حق الشرح والتفسير، وتفوق الأصوليون على الإخباريين.. وتطورت تلك النظرية على مر السنين حتى بدأوا يشكلون قوة في المجتمع الشيعي، حتى عهد الثورة الخومينية (١٩٧٩م) [2].

---

(١) ولاية الفقيه في الفكر الشيعي: هي ولاية الفقيه وحاكميته، الجامع للشرائط في عصر غيبة الإمام الحجة، حيث ينوب الولي الفقيه عن الإمام المنتظر في قيادة الأمة وإقامة حكم الله على الأرض بحسب زعمهم.

(٢) انظر دليب هيرو، الأصولية الإسلامية في العصر الحديث، ترجمة عبدالحميد فهمي الجمال، (ص٢٥٢- ٢٥٧).

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

من هنا أخذت الشيعة الإمامية مبدأ الثورة كأصل من أصولهم، وتوسعوا في الاجتهاد، لتبقى نضارة ثورة الثائرين عند انتهاك الحرمة، في عهد أي حاكم، ما دام لم يرع حقوق الشعب والرعية فقراء وأغنياء، ضعفاء وأقوياء، وإن تذرعوا مع ذلك بأنهم مقتدون بالإمام الحسين بن علي رضي الله عنه.

وإن أهل السنة والجماعة يرون ضرورة الاجتهاد في كل عصر، وأن باب الاجتهاد لم يغلق، لكنه لم يكن في يوم من الأيام ذريعة لبث روح الفتنة والثورة، فلا نقر لهؤلاء ما ذهبوا إليه.

المطلب الثاني: الثورة عند الخوارج

إن فرقة الخوارج من أقدم الفرق الإسلامية، وقد انقسمت لعدة فرق، ويجمعها من المبادئ ما يلي:

أولًا: تكفير الإمام علي وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل، وكل من رضي بالتحكيم.

ثانيًا: وجوب الخروج على الإمام الجائر، فلا يرون إمامة الجائر أصلًا.

ثالثًا: تكفير مرتكب الكبيرة [1]، فقد كان النصراني أسلم من أذاهم من المسلم، فمن اتبعهم من المسلمين فهو سالم منهم، وغير المسلم سالم منهم حتى يسمعه كلام الله.

والمبدأ الأول والثاني يبينان موقف الخوارج من الثورة حيث يرون اقتران تكفير الحاكم بالخروج عليه، لأنهم إن اعتقدوا إيمانه فكيف يخرجون

---

(١) انظر د. عبد الحليم محمود، التفكير الفلسفي في الإسلام، (ص١٣٥- ١٣٨)، وانظر د. مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، (ص١٣١).

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

عليه؟ ويعتبرون الخروج على الحاكم الظالم – من وجهة نظرهم- من أقرب القربات إلى الله، ومن الواضح أن فتنة التكفير أشار النبي إليها في قوله ﷺ: «سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1]، فجرثومة التكفير غرست وانتشرت بين بعض شبيبة اليوم حتى نبعت من هذا الفكر الخارجي الأول، وهذا من دلائل النبوة فأخبر عمن استسهل التكفير لأدنى شبهة، من بعض النابتة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن واجب الإنصاف أن نقول: إن من أكثر فرق الخوارج اعتدالا في معاملة المسلمين فرقة الإباضية[2]، وكثير من المحققين[3]، تركوا تكفير الخوارج، فإذا حملوا السلاح فهم في حكم البغاة، قال تعالى: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]، وهذا حكم الإمام

(١) مسلم كتاب الزكاة باب (٤٩)، رقم: ٢٥١١ من حديث الإمام عَلِيٍّ ﷺ.
(٢) الإباضية: أحد المذاهب الإسلامية، سمي بهذا الاسم نسبة لعبدالله بن إباض التميمي، بينما ينسب المذهب لجابر بن زيد التابعي، من تلامذة السيدة عائشة وابن عباس، وتنتشر الإباضية في سلطنة عمان فيمثلون نسبة ٧٠ % من السكان تقريبا بحسب= =بعض الإحصائيات، وينتشر بجبل نفوسة، وفي زوارة بليبيا، ووادي مزاب في الجزائر، وجربة بتونس، وبعض المناطق في شمال أفريقيا وزنجبار، انظر د. مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، (ص١٣٥- ١٧٠)، وانظر محمد أبوزهرة، المذاهب الإسلامية، (ص٨٢).
(٣) انظر د. مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، (ص١٣٠)، وانظر محمد أبوزهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، (ص٨٣).

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

علي-رضي الله عنه- فيهم، فلما قتل الحرورية، قالوا: من هؤلاء يا أمير المؤمنين أكفار هم؟ قال: (من الكفرِ فرُّوا) قيل: فمنافقون؟ قال: (إن المنافقين لا يذكرون الله إلَّا قليلًا وهؤلاء يذكرون اللهَ كثيرًا) قيل: فما هم؟ قال: (قَومٌ أَصَابَتْهُم فِتْنةٌ، فَعَمُوا فِيهَا وَصَمُّوا)[1]، ولما سئل عن أهل الجمل، قال: (إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم، وقد فاؤوا وقد قبلنا منهم)[2]، وتلك رؤية الإمام علي تبين مدى الإنصاف الذي كان عليه أهل السنة والجماعة.

المطلب الثالث: فلسفة الثورة عند أهل السنة

تتضح رؤية أهل السنة والجماعة للثورة من خلال مراجعة تاريخ الخلفاء الراشدين، والصحابة والتابعين فيتبين من خلالها العمل بما سبق إيراده من كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله ﷺ.

أولا: أبوبكر الصِّدِّيق رضي الله عنه:

كانت فلسفة الصديق رضي الله عنه، جلية في صورة (الثورة على النفس)، منذ أول لقاء بينه وبين الأمة، في وقت كان المسلمون يعانون ألم فراق النبي ﷺ، فقام أبو

(١) عبدالرزاق الصنعاني، المصنف، كتاب اللقطة، باب ما جاء في الحرورية رقم: ١٧٩٨٧، واللفظ له من حديث الحسن، وابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الجمل وصفين والخوارج، باب ما ذكر في صفين، رقم: ٣٧١٦١.

(٢) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب قتال أهل البغي، باب أهل البغي إذا فاءوا لم يتبع مدبرهم، رقم: ١٥٥٨٤، واللفظ له، وابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الجمل وصفين والخوارج، باب مسير السيدة عائشة وطلحة، رقم: ٣٧٠٧٦.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

بكر –رضي الله عنه- خطيبا في الناس، وذلك بعدما بويع بالخلافة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيُّها النَّاسُ: فإنِّي قَد وُلِّيتُ عليكم ولَسْتُ بخيرِكم، فإنْ أحسَنْتُ فأعِينُونِي، وإنْ أسَأْتُ فقوِّمُونِي، الصِّدقُ أمَانةٌ والكَذِبُ خِيَانةٌ، والضَّعِيفُ فيكُم قوِيٌّ عندِي حتىٰ أرْجِعَ عليه حقَّه إنْ شَاءَ اللهُ، والقَوِيُّ فيكُم ضَعِيفٌ حتَّىٰ آخُذَ الحقَّ منْهُ إنْ شَاءَ اللهُ، لَا يَدَعْ قومٌ الجِهادَ فِي سبيلِ اللهِ إلَّا خذَلَهم اللهُ بالذُّلِّ، ولَا تَشِيعُ الفَاحشَةُ فِي قومٍ إلَّا عمَّهمُ اللهُ بالبَلَاءِ، أطِيعُونِي مَا أطَعْتُ اللهَ ورسولَه، فإنْ عصَيْتُ اللهَ ورسولَه فلَا طاعةَ لِي علَيْكُم»[1]، وتلك الخطبة مع وجازتها بها الكثير الكثير من الدلالات والأحكام والعظات، وهي خاطبت العقول بقدر مخاطبة العواطف والمشاعر.

وغاية ما في الأمر أن أبا بكر الصديق –رضي الله عنه- قد اتفق الناس على خلافته ﷺ؛ لعزمه على ضبط النفس وإصلاحها، ونصرته الضعيف المظلوم، وأخذه الحق من القوي الظالم، فأوضح في هذا الخطاب القدوة المرجوة لجميع المسلمين، للثورة على النفس الأمارة بالسوء قبل إحداث الناس أمورًا غير محمودة العاقبة.

ثانيا: أبوذر الغفاري ﷺ:

كان أبو ذر ﷺ، عابدًا زاهدًا، قانعًا من الدنيا بالقليل، لم يرض بحياة الترف والتنعم، عاملًا بوصية النبي – ﷺ- له، ففي حديث أبي ذر الغفاري قال: «أَوْصَانِي حِبِّي بِخَمْسٍ: أَرْحَمُ المَسَاكِينَ وَأُجَالِسَهُم، وَأَنظُرُ إِلَى مَنْ هُو تَحْتِي،

(١) ابن كثير، البداية والنهاية المجلد الثالث، (٣٠٥/٦ - ٣٠٦)، والإمام السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٥٦، وانظر مجدي فتحي، سيرة وحياة الصديق، ص١٠٦.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وَلَا أَنْظُر إِلَىٰ مَن هُو فَوقِي، وأَنْ أَصِلَ الرَّحِم وإِنْ أَدْبَرتْ، وأَنْ أَقُولَ بِالحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، وأَنْ أَقُولَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّة إِلَّا بِالله»[1]، فيحمل ما قام به مع الصحابة على أنه عمل بوصية النبي له، والقيام بواجب النصح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعوة للصلاح والإصلاح الواجب، وأن في المال حقًّا سوى الزكاة [2]، ولا يحمل عمله على الثورة ليفتن الناس عن حاكمها للخروج عليه أو دعوة إليها، فهذا لا يظن بصحب النبي ﷺ، فعلى ذلك يحمل ما كان عليه أبو ذر من إرادة حياة الزهد، وهي أمر اختياري بلا وجوب.

ثالثا: عبد الله بن الزبير رضي الله عنه:

إذا قرأنا التاريخ وجدنا ما يسمى بفتنة عبدالله بن الزبير، وهو أحد أصحاب النبي، فهو أول مولود بالمدينة بعد الهجرة؛ ومن المستبعد أن يتولى أحد الصحابة كبر فتنة في أمة الرسول.

قال ابن حجر: (اعتزل ابن الزبير حروب علي ومعاوية، ثم بايع لمعاوية، فلما أرادوا منه أن يبايع ليزيد امتنع وتحول إلى مكة وعاذ بالحرم، فأرسل إليه يزيد سليمان أن يبايع له، فأبى ولقّب نفسه بـ (عائذ الله)، فلما كانت وقعة الحرة، وفتك أهل الشام بأهل المدينة ثم تحولوا إلى مكة فقاتلوا ابن الزبير، واحترقت الكعبة، أيام ذلك الحصار ففجعهم الخبر بموت يزيد بن معاوية، فتواعدوا ورجع أهل الشام، وبايع

(١) أحمد بن حنبل، في مسند الأنصار، رقم: ٢٠٩٨٩، من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

(٢) انظر القاضي ابن العربي، العواصم من القواصم، (ص٨٥- ٨٨)، وانظر د. عبدالحليم محمود، أبوذر والشيوعية، (ص٧٨- ٧٩)، وانظر د. رفعت العوضي، الاقتصاد الإسلامي والفكر المعاصر- نظرية التوزيع، (ص٣٧٧- ٣٨١).

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الناس عبد الله بن الزبير بالخلافة، وأرسل إلى أهل الأمصار يبايعهم إلا بعض أهل الشام، فسار مروان فغلب على بقية الشام ثم على مصر، ثم مات، فقام عبد الملك بن مروان فغلب على العراق، وقتل مصعب بن الزبير، ثم جهّز الحَجَّاج بن يوسف[1]، إلى ابنِ الزبير فقاتله إلى أن قتل ابن الزبير في جمادى الأول سنة ٧٣ هـ وهذا هو المحفوظ، وهو قول الجمهور)[2].

لم يكن عمل ابن الزبير خروجًا على الحاكم، أو ثورة بالمعنى المتبادر منها، إنما اجتهد فأخطأ على أعلى تقدير، وذلك حينما بايعه الناس لما رأوا فيه أهلية الخلافة بعد موت يزيد، خاصة وقد ترك البيعة له من قبل؛ ليعبر ابن الزبير عن رفضه لبيعة يزيد، لما عرف عنه من الفسق والظلم.

المطلب الرابع: تصور الإسلام للثورة

(١) الحجاج بن يوسف الثقفي: (٤٠- ٩٥هـ)، كنيته أبومحمد، قائد أموي داهية خطيب، ولد ونشأ بالطائف، وانتقل للشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في شرطته، ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره، أمره عبد الملك بقتال عبدالله بن الزبير، فزحف للحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله وفرق جمعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق، والثورة قائمة فيه، فانصرف للكوفة، في ثمانية أو تسعة رجال على النجائب، فقمع الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة، بنى مدينة واسط، ومات بها، وأجري على قبره الماء فاندرس، كان سفاكا مرعبا باتفاق أكثر المؤرخين، حتى عُرف بالمبير أي: المبيد، انظر ابن كثير البداية والنهاية، المجلد الخامس، (٩/ ١٢٣- ١٢٥).

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، (٤/ ٧٧)، ترجمة رقم: ٤٧٠٠، لعبدالله بن الزبير ﷺ.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

من المفيد بيان تصور الإسلام الحنيف للثورة على أنها (دعـوة للخـروج على الحاكم) حيث إنه حثَّ على جمْع نظام الأمة، فاعتبر تنصيب الحاكم من فروض الشرع الكفائية الضرورية التي يفرضها الواقع، وتحتمها ضرورة الاجتماع؛ لتحقيق النظام في الأمة، وقضاء مصالح العباد وإصلاح البلاد(١)، كما دعا للاتحاد؛ لتحقيق الحد الأدنى لوحدة الأمة من أقرب سبيل، كما دعا للاعتصام بالكتاب والسنة، ومن هنا وجدنا الأحكام التالية يرصدها فقهاء الإسلام، وهي محل إجماع أهل السنة والجماعة:

الحكم الأول: وجوب طاعة ولاة الأمر في الإسلام الحنيف، عملا بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[النساء: ٥٩]، وفي التفسير: (والظاهر أن الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء)(٢)، وبيّن النبي – ﷺ- أن الطاعة في المعروف، فقال: «لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ الله إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»(٣)، ومن أدلة السنة النبوية على وجوب طاعة الحاكم حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، في بيعة النبي – ﷺ- لأصحابه وفيه قَالَ: (دَعَانَا رَسُولُ الله ﷺ فَبَايَعْنَاهُ فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا،

---

(١) انظر الإمام الماوردي، الأحكام السلطانية، (ص٥- ٧)، وانظر ابن خلدون، المقدمة، تحقيق د. علي عبدالواحد وافي، (٢/ ٥٨٠- ٦٠١).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المجلد الأول، (٢/٢١٠)، وانظر الإمام البيضاوي، أنوار التنزيل، (١/ ٢٢٠).

(٣) البخاري كتاب الأحكام، باب (٤) رقم: ٧٢٣٢، ومسلم كتاب الإمارة باب (٨)، رقم: ٤٨٧١، واللفظ له، كلاهما من حديث الإمام عَلِيٍّ ﷺ.

تـلـيـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»[1]، وفي الحديث دلالات شرعية عديدة، من أهمها:

أولا: قوله (أَنْ لَا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ)، نهي يدل على حرمة الخروج على الحاكم، وفعل الثورة هيجان وفتنة دالة على حرمة الخروج على الحاكم، ومعصية من تجب طاعته لا تسلبه حقه في الطاعة لم تصل إلى الكفر البواح؛ لأن في الخروج معنى الثورة المتبادر للذهن، لذا فإن الثورةَ حرامٌ قياسًا على الخروج على الحاكم، بجامع الفوضى في كلٍّ؛ لذا فقد ذهب أهل السنة والجماعة إلى حرمة الخروج (الثورة)، وهذا دليل تحريم الثورة.

ثانيا: قوله (إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا) يدل على اشتراط ترك الكفر المزعوم أو المظنون أو المختلف فيه، وانتفاء الكفر البواح؛ لذا قال النبي- ﷺ- : (عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ)، فحرّم التكفير بلا برهان؛ لأن التحفظ هنا في غاية الخطورة والأهمية، لذلك فإن السلف الصالح حذروا من التكفير، بل وتشددوا فيه أيما تشدد[2]، وبعض الجماعات التكفيرية تساهلوا، فقاموا بتكفير الحاكم أولًا، لتستحل الخروج عليه ثانيا.

الحكم الثاني: ألا تنزع يدا من طاعة الحاكم، ومن أدلة السنة على ذلك حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ

(١) البخاري كتاب الفتن، باب (٢) رقم:٧١٤٣، ومسلم كتاب الإمارة باب (٨)، رقم: ٤٨٧٧، من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ

(٢) انظرمحمد علوي المالكي، التحذير من المجازفة بالتكفير، (ص٦٤- ٦٦).

تـلـيـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّه أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لاَ، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلاَتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلاَ تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»[1]. وفي الحديث دلالات شرعية عديدة، منها:

أولا: قوله: (لاَ، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ)، يدل على حرمة حمل السلاح عليهم، لوقوعه جوابا لسؤال.

ثانيا: اشتراط النبي – ﷺ- إقامة الحاكم للصلاة في المجتمع المسلم، وذلك لحبس الفتنة عن الأمة، ومنع الوقوع في فتنة الفوضى.

ثالثا: قوله: (وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلاَتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ)، يدل على اعتبار النبي الحد الأدنى من الطاعة لولاة الأمر، أي دعانا النبي – ﷺ- للتفرقة بين العمل والعامل، فكراهية العمل لا تنافي ما لولي الأمر من واجب الطاعة.

رابعا: قوله (وَلاَ تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ) يدل على حرمة نزع اليد من طاعة الحاكم.

الحكم الثالث: تحريم حمل السلاح على الأمة كلها، ويدل عليه حديث أبي موسى الأشعري عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ

(١) مسلم كتاب الإمارة باب (١٧)، رقم: ٤٩١٠، من حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأشجعي ﷺ.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

مِنَّا»[1]، وحرمة حمل السلاح لترهيب الآمنين والمنابذة للقتال، لذلك أوجب الإسلام الصبر على الحاكم - ما أقام الصلاة، ولم يظهر الكفر البواح- مهما جار أو ظلم.

الحكم الرابع: وجوب الصبر على الأمة كلها، وتفعيل الدفع بالتي هي أحسن، وهناك عشرات الآيات الداعية إلى الصبر والعفو والصفح الجميل، وأكد النبي ذلك – ﷺ- المعنى للأنصار لما اعترض بعضهم على قسمته للأموال، فقال لهم: «فَإِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ أَثَرَةً شَدِيدَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنِّي عَلَى الْحَوْضِ» قَالُوا: سَنَصْبِرُ[2]، وسبب ورود الحديث يبين اعتراض بعض الأنصار على فعل النبي– ﷺ- ففي الحديث (أن أُنَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ قَالُوا يَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ فَطَفِقَ رَسُولُ الله ﷺ يُعْطِي رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ الْمِائَةَ مِنَ الإِبِلِ فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِ الله يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ)، فمن الواضح أن الأنصار لم يثوروا على النبي إنما ظن بعضهم أمرا فبين لهم النبي ما سيكون في المستقبل من أثرة بالأمر فرجعوا إلى الحق بعدما بين لهم الرسول الكريم – ﷺ- وقالوا (سَنَصْبِرُ).

---

(١) البخاري كتاب الفتن، باب (٧) رقم: ٧١٥٨، ومسلم كتاب الإيمان باب (٤٤) رقم: ٢٩٣، واللفظ لهما واحد، كلاهما من حديث أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيُّ، ورواه ابن عمر وأبو هريرة وغيرهما.

(٢) البخاري كتاب المغازي، باب (٥٨) رقم: ٤٣٧٥، ومسلم كتاب الزكاة باب (٤٧) رقم: ٢٤٨٣، واللفظ له، كلاهما من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

المطلب الخامس: شبهة والرد عليها

أولا: تحرير الشبهة:

إن هذا التصور السابق قد يعترض البعض عليه، ويصفه بأوصاف مثل (الخنوع والاستسلام والاتكالية والانهزامية وإعطاء الدنية في الدين)، مما قد يكون دافعًا لاستثارة النابتة من الشباب للقيام بالثورة، فكيف ترد تلك الشبهة؟

ثانيا: الرد على تلك الشبهة:

يكون الرد على تلك الشبهة وهذا الاعتراض بالآتي:

أولا: إذا كان ديننا الحنيف قد دعا للوحدة فمن المستبعد عقلا اعتبار الصبر على الحاكم نوع خنوع واستسلام؛ لأن الإسلام يفرِّق بين رؤية الإصلاح كعمل واجب شرعًا، وبين الثورة بمعنى (الخروج على الحاكم) كفعل غير جائز شرعًا، ويستبدلها بالصبر على الظلم مع إصلاحه بقيود، وفي حدود المتاح، وتتحقق دوافعه، وإلا فيتحمل الثائر آثاره وعواقبه.

ثانيا: إن موقف الإسلام ليس سلبية أو خنوعًا ورضا بالضيم والظلم، حيث دلنا على النصح المطلوب، فإن اعتبر الإصلاح - بهذه المفاهيم السابقة - من الثورة كان خلطًا في المفاهيم، لأن الإصلاح حدث فرديّ طيب الأثر، عظيم المنفعة، كبير الفائدة العائدة على الفرد والمجتمع، لتغييره للأفضل والأحسن، وحينما يستثار الجمع من الناس، فلابد أن يكون بدافع الإثارة لصناعة حضارة.

ثالثـا: ومـن ناحيـة أخـرى فقـد فـرّق النـبي – ﷺ- بـين إبـداء الـرأي في العمل (فاسـدًا كـان أو صـالحًا)، حيـث أعطـى حريـة الـرأي في الأعمـال، وبـين إبداء الرأي في العامل، فبينما رأينا تبرأ إبراهيم من كفر أبيه، ورأينـا تبرأ ابـنُ عمر من معتقد القدرية، بينما ترك تكفير هؤلاء، فإن التحفظ في إبداء الـرأي في العامـل احترامًـا للذمـة، وجمعًـا للكلمـة، وتأليفًـا للقلـوب، وفـوق هـذا كلـه عـدم شـق عصـا الطاعـة وعـدم إثـارة الفتنـة وإبقـاء علـى هيئـة أهـل القـرار في المجتمع.

رابعا: إن الشريعة الإسلامية فعَّلت الإصلاح بالعديد من الشرائع الواجبة ومنها:

(١) العمـل علـى تحقيـق المسـئولية كجـزء أصـيل مـن المكـوِّن العقلـي للمسـلمين فقـراء وأغنيـاء، رعـاة ورعيـة، وفي الحـديث «أَلَا كُلُّكُـمْ رَاعٍ وَكُلُّكُـمْ مَسْـئُولٌ عَـنْ رَعِيَّتِـهِ»[1]، أجمـل الأمـر، ثـم فصّـل مسـئولية الإمـام في رعيتـه، ومسئولية الرجل في أهل بيته، ومسئولية المرأة في بيت زوجها، ومسـئولية العبـد في مال سيده، ثم كرر مؤكدًا القضية، فقال: «أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

(٢) دعا ديننا الحنيف إلى إسداء النصح، ويتحقق النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

---

(١) البخاري كتاب الجمعة باب (١١) رقم: ٩٠١، ومسلم كتاب الإمارة باب (٥) رقم: ٤٨٢٨، واللفظ له، كلاهما من حديث عبدالله بْنِ عُمَرَ ﷺ.

(٣) يعتبر الإسلام الإصلاح عملًا من أعمال الخير والتنمية المستدامة المطلوبة، فقال: ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[الأعراف: ١٤٢].

(٤) دعا الإسلام إلى ترك الفساد والإفساد في الأرض، فقال: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال: ﴿ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧].

(٥) يدعو الإسلام الحنيف لضرورة تغيير الفرد نفسه وإصلاحها، فيعتبر رياضة كل فرد نفسه على الصلاح والإصلاح مطلبًا شرعيًّا.

(٦) يدل ديننا الحنيف على ضرورة بذل كل إنسان جهده في سبيل إصلاح حاله في الدنيا، وتغيير أخلاقه وسلوكه، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

(٧) أخيرا دعا ديننا إلى أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١]، وهذا العمل فرض على الأمة كلّها، كلٌّ بما يناسب موقعه، فكل هذه مظاهر الصلاح المعتبر، والإصلاح الاجتماعي، ونوع منه.

وبذلك ندرك إيجابية التصور الإسلامي، وتندفع الشبهة حيث لم يكن موقف الإسلام من الظلم وأهله سلبيًّا، بل إيجابيًّا متفقًا مع الواقع أيا كان وضعه.

* * *

المبحث الثالث

توصيف الدعوة قبل الثورة وأثنائها

إن المشاهَد من خلال الواقع على ساحة الدعوة الإسلامية، قبيل ثورة الـ ٢٥ من يناير ٢٠١١م، وغالب الظن أن الأمر لا يختلف بعدها كثيرًا، وأرى أن توصيف كل منهما على حدة، وبيان ما له وما عليه مما يثري الدعوة ويكشف الغبار عن خطباء الفتنة ليعرفوا بوصفهم دعاة، فقد كانت الدعوة قبيل الثورة تدور بين ممارسة الدعوة من كبار العلماء المعروفين بفكرٍ وسطيٍّ مستنيرٍ رفيعِ المستوى، أهل مودة وانتماء ديني ووطني، قد أثروا الفكر الإسلامي، وبين ممارسة الدعوة من دعاة قد يؤدون دورهم بين أداء دعوي في حاجة لإعادة تقييم، وبين رتابة معهودة بحكم الوظيفة الدعوية.

المطلب الأول: توصيف دعوة الدعاة العلماء

إن كبار الدعاة العلماء، اتخذوا الدعوة رسالة علموها للأمة، وعملوا على نشرها وبلاغها على قدر الجهد والطاقة، لكن الله تعالى شاءت إرادته أن يتوفى العدد الكبير منهم والمؤثر في الأمة، وذلك في العقد الأخير من القرن العشرين، كما توفي عدد منهم كذلك في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين.

أولا: نماذج لكبار الدعاة:

من هؤلاء فضيلة الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوي (١٩١١- ١٩٩٨م)، وهو من أشهر مفسري معاني القرآن الكريم في عصرنا؛ حيث عمل على تفسير القرآن بأسلوب سهل مناسب لجميع مستويات الجمهور، فتقبله المثقفون

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

والأميون على السواء، مما جعله يستطيع الوصول لأكبر شريحة من المسلمين في جميع أنحاء العالم العربي، لقبه البعض بإمام الدعاة[1].

ومنهم فضيلة الشيخ محمد الغزالي (١٩١٧- ١٩٩٦م) وهو داعية وعالم ومفكر إسلامي يعد أحد دعاة الفكر الإسلامي في عصرنا على مدار القرن العشرين، يعتبر الشيخ الغزالي من المجددين لحركة الفكر الإسلامي، كما عرف عنه مناهضة التشدد والغلو في الدين، كما عُرف بأسلوبه الأدبي الرصين في الكتابة ولقبه البعض بـ (أديب الدعوة)، سببت انتقادات الغزالي للأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي العديد من المشاكل له سواء أثناء إقامته في مصر أو في السعودية[2].

ومنهم فضيلة الأستاذ خالد محمد خالد (١٩٢٠- ١٩٩٦م) وهو مفكر إسلامي معاصر، مؤلف كتاب (رجال حول الرسول) الذي كان سبب شهرته، كما ألف عدة كتب تتحدث عن السيرة النبوية وأعلام الصحابة، كما كان الأستاذ خالد كاتبًا مصريًّا معاصرًا، له أسلوب بسيط سهل جميل السرد والحكي، تخرج من كلية الشريعة والقانون بالأزهر الشريف، وعمل مدرساً، ثم عمل بوزارة الثقافة، وكان عضواً بالمجلس الأعلى للآداب والفنون[3].

العجيب في الأمر أن الصديقين (خالد/الغزالي) وهما صنوان حميمان في الفكر الإسلامي في مدار القرن العشرين، قد توفي أحدهما عقب الآخر فمات

---

(١) انظر موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، (ص١٠٠٣- ١٠٠٦).

(٢) انظر نفس المرجع، (ص٩٧٦- ٩٨١).

(٣) انظر محمد خالد ثابت، قصتي مع التصوف، (ص١٥- ١٦)، ط دار المقطم، سنة ٢٠٠٦.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

أولا الأستاذ خالد في شهر (فبراير ١٩٩٦ م) وفي نفس العام في شهر (مارس ١٩٩٦ م) توفي رفيق الدرب الشيخ الغزالي رحمة الله عليهما وألحقنا بهم على خير حال.

ومنهم فضيلة الداعية الشيخ إسماعيل صادق العدوي (١٩٣٤ - ١٩٩٨) ذلك الشيخ الذي كان إمامًا وخطيبًا لمسجد سيدي أحمد الدرديري بحي الباطنية بالقاهرة، قبل أن يتولى الإمامة والخطابة في الجامع الأزهر الشريف، وكان خطيبًا مؤثرًا في نفوس الجمهور وقلوبهم، مقنعًا للعقول منتقدًا للواقع بصورة مهذبة ممزوجة بشيء من المداعبة، وتظهر آثار دعوته فيما صدرت عنه من خطب منبرية[1]، وفي تشكيل وجدان الأمة.

ومن هؤلاء فضيلة العالم الشيخ عطية محمد عطية صقر (١٩١٤ - ٢٠٠٦)، وهو عالم من كبار علماء الأزهر الشريف، شغل منصب رئيس لجنة الفتوى بالأزهر، وعضوًا بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وكانت دعوته إسهامات في الاجتهاد حول المسائل المطروحة على الساحة، ويظهر ذلك في أحاديثه وفتاويه المذاعة، في وسائل الإعلام المختلفة.

ومن هؤلاء فضيلة العالم الدكتور مصطفى محمد الشكعة (١٩١٧ - ٢٠١١) وكانت وفاته في ٢٠ إبريل أي من بعد قيام ثورة يناير بثلاثة أشهر، عن عمر ناهز الـ(٩٤) عاما، وهو مفكر وأستاذ جامعي، فكان عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية، ورئيسًا للجنة التعريف بالإسلام بالمجلس الأعلى للشئون

---

(١) إسماعيل صادق العدوي: (١٩٣٤- ١٩٩٨)، ولد بمنفلوط ونشأ بحي الباطنية بجوارالأزهر بالقاهرة، تولى إمامة مسجد أحمد الدرديري سنة ١٩٦٤م وكانت حياته جهادا متواصلا لنشر العلم، داخل مصر وخارجها، وكان جوادًا فتبرع بمنزله للأزهر ليكون معهدًا لنشر علومه، انظر محمد هاشم العشري، سلسلة من كنور العلم النافع، (١/ ٤-١٠).

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الإسلامية، وعضوا للجنة الحوار الإسلامي المسيحي بالأزهر الشريف، كما كان عميدا لكلية الآداب جامعة عين شمس، وظهرت قدرته العلمية في توصيف ماهية الإسلام - سواء اتفقنا أو اختلفنا - معه في كتابه (إسلام بلا مذاهب)[1]، ثم بين في آخر كتابه خطورة التعصب المذهبي، ثم دعا إلى التقريب بينها معظما لوحدة الأمة، فقد وضع رؤية فكرية محترمة عن واقع المسلمين.

هذه ستة نماذج لأكابر الدعاة العلماء، وقد شاءت إرادة الله تعالى أن يرحلوا عن دنيانا واحدًا تلو الآخر، قبيل ثورة يناير، أو بعدها مباشرة كما هو الحال في الدكتور الشكعة –رحمه الله- حتى نقف على آرائهم فيها، لكن المعلوم أن زادهم العلمي باقٍ في أثره وتأثيره فيما خلفوه من تراث مقروء ومسموع ومرئي، وقد أبقى الله تعالى لنا غيرهم من الدعاة العلماء الذين أسهموا، وما زالوا يسهمون للدعوة، ليصدق بهم قول النبي –صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- : **«لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»**[2]، وهذا شهادة نبوية ببقاء الخير في الأمة إن شاء الله.

ثانيا: سمات دعوة كبار الدعاة:

ومما تجدر الإشارة إليه أنه يجمع هؤلاء العلماء الدعاة الكبار أمور، منها ما يلي:

(١) انظر د. مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، (ص٣٧- ١١٤).

(٢) البخاري كتاب المناقب باب (٢٩)، رقم: ٣٦٨٤ واللفظ له، من حديث مُعَاوِيَةَ ﷺ، ومسلم كتاب الإمارة باب (٥٣) رقم: ٥٠٥٩ من حديث ثَوْبَانَ ﷺ.

أولا: كان كل واحد من أؤلئك الدعاة العلماء له بصمة خلفها وراءه للأمة المسلمة، فأما الإمام الشعرواي فقد كانت بصمته في تفسير كتاب الله، وما منحه الله من معانٍ جديدة في كتاب الله، وأما الشيخ الغزالي فكانت بصمته في الدفاع عن قضايا الأمة، بأساليب دعوية راشدة، وأما الأستاذ خالد فكانت بصمته في عرض أفكار جديدة على العقل المسلم يتسع بها وعي الأمة شبابًا وشيبة، فيحرك العقل ويجدد الفكر، وأما الداعية الشيخ إسماعيل صادق فكانت بصمته في البلاغ والحِرَفيّة من خلال الخطب المنبرية للوصول إلى (القناعة العقلية)، وأما الشيخ عطية صقر فكانت بصمته في الفقه الإسلامي، حيث كان غزير الفتوى واضح الحكم، وأما الدكتور الشكعة فكانت بصمته فيها رؤاه وأفكاره المطروحة من خلال إنجازاته في اللجان البحثية ومؤلفاته العلمية، حيث أثرى المكتبة الإسلامية؛ فلكل منهم أثره وبصمته التي تشهد له يوم القيامة، بما قدّم للدعوة والإسلام والمسلمين.

ثانيا: كان لأؤلئك الدعاة العلماء إسهامات عبر وسائل الإعلام، فكان فكرهم مسموع على أوسع نطاق، فلم يقتصر تأثيرهم على منبر المسجد، إنما اتسعت لهم منابر دعوية إعلامية (مسموعة ومرئية)، ويتسم هؤلاء الدعاة بأنهم لم يكونوا علماء فقط، بل كانوا عارفين بواقع الأمة دعاة على بصيرة من أمرهم، لهم نصيب من استيعاب الواقع المعيش، فأسهموا للعلم الشرعي علومًا، وأسهموا في الدعوة سلوكًا حسنًا بين الناس، وتركوا آثارا باقية في الأمة.

ثالثا: كان لأؤلئك الدعاة العلماء إسهامات في التأليف، فلهم عشرات المؤلفات التي أثرت المكتبة الإسلامية بل وشكّلت الوجدان العربي

والإسـلامي، وتربّـت أجيـال تلـو أجيـال علـى مؤلفـاتهم، فكانـت مؤلفـاتهم ولقاءاتهم تعتبر صمّام أمانٍ للشباب من الانحراف الفكري.

رابعًا: بوفاة هؤلاء لا يقال: نفقت سوق الدعوة، إنما يقال: فتحت أبواب على الأمة كانوا يغلقونها بدعوتهم ونصحهم للعامة والخاصة، وقد أدى خلو الساحة الدعوية من هؤلاء وأمثالهم إلى ظهور الهواة من الدعاة، فدخل في حقل الدعوة غير المختص بالعلم الشرعي وغير المعد المدرب للدعوة، وغير المؤهل تأهيلًا يليق بجلال الرسالة الشريفة التي يجب أن يتحملها الدعاة، فمن هؤلاء الهواة من أخذ الترهيب سبيلًا للدعوة، ومنهم من أخذ سبيل الإفتاء سبيلا، فأفتوا الناسَ بغير علمٍ فضلوا وأضلوا، ومنهم من اتخذ أساليبَ حديثة من قنوات إعلامية خاصة ساعدتهم على ذلك؛ فتمكنوا من خلالها من الوصول لعوام المسلمين، حتى صار بعضهم نجومًا في سماء الدعوة وهم أبعد ما يكونون عنها.

إن ساحة الفكر والدعوة الإسلامية خسرت كثيرًا بموت هؤلاء الدعاة العلماء الأفذاذ، فعلى أكتافهم كان نشر الدعوة الصحيحة، فقد أحسنوا عرض قضايا الفكر الإسلامي بأمانة وإخلاص، وإن من العدالة العلمية عقد مؤتمرات ودراسات علمية حول وسائل الإقناع عند هؤلاء الدعاة العلماء؛ فالأمة المسلمة في أمس الحاجة لرصد تجاربهم وخبراتهم لينتفع منها الناشئة من الدعاة.

المطلب الثاني: توصيف دعوة الدعاة الموظفين

أما الجانب الثاني من الدعاة فكانوا بين دعاة يؤدون دورهم بأداء دعوي في حاجة لتقييم وتقويم، وبين دعاة آخرين يؤدون دورهم برتابة بحكم الوظيفة، وسوف أحاول بيان مشكلة هؤلاء الدعاة، مع شيء من التقييم والعلاج – قدر الجهد والطاقة- في عدة نقاط فيما يلي:

الأولى: السلبية في الدعوة:

المقصود من (السلبية في الدعوة) أن بعض الدعاة لم يكونوا على قدر المسئولية، فلم يقوموا بواجب الدعوة على الوجه الأمثل، فكان منهم (غير الفاعلين أو المؤثرين بإيجابية في الحقل الدعوي)، ممن قاموا بالدعوة كوظيفة وليست رسالة دعوية تحملوها عن الرسول الكريم- ﷺ- وإذا قمنا بعمل إحصائي سريع لنسبة أعداد الدعاة الموظفين لكانت كثيرة نسبيا بالمقارنة بمن سبق من الدعاة أصحاب الرسالة المسئولية ولا أرى وصفًا سوى (سلبية الدعاة) مشتركًا يجمعهم وينظمهم جميعًا، لأنهم دعاة غير فاعلين.

الثانية: ضعف التواصل مع الجمهور:

المقصود من ضعف التواصل مع الجمهور (قلة الجمهور وانصرافهم عن الداعية، قد يكون لسوء عرض الرسالة الدعوية) يقال: إن الدعاة اليوم ليس لهم مريدون كما كان لدعاة (أربعينات وخمسينات وستينات..) القرن العشرين من تلامذة ومريدين، فاعتبروا مدارس دعوية في الأسلوب والمنهج والمبادئ التي يعرضونها على الجمهور، بينما يَجتمع الناس حول دعاة الفضائيات، ونجد بعض الدعاة دعوتهم سلبية، فلم يكن بعض الدعاة على قدر المسئولية ولم يكونوا أهلًا للقيام بما نيط بهم من إصلاح المجتمع، وذلك من ناحيتين:

الأولى: اختيار الموضوع المطروح (الرسالة الدعوية). الثانية: الأداء بأساليب مناسبة واستدلالات مقنعة.

ويمكن أن يقال: إن علاج ذلك يكمن فيما يلي:

أولا: كيفية توجيه الداعية للمقصر من الجمهور، والتنبيه على أخطائهم، هل باللوم والزجر، أو بالقرع والتهويل، أو بالتهوين والتسيب؟ أقول: لا يصلح شيء من ذلك بالمرة، بل بالتنبيه على ما في كتاب الله من أساليب الدعوة المعهودة، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وفي هدي رسول الله كفاية، حيث إنه كانت ينتقد البعض فيقول: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[(١)]، فالنبي -ﷺ- لم يطرد المنافقين من مجلسه، ما نفرهم أو عنفهم أو عاقبهم، وإن فضح الله خبرهم في القرآن.

ثانيًا: أساس التواصل مع الجمهور يبدو في معرفة (علاقة التأثير والتأثر)، بين الداعية وجمهوره، أما علاقة تأثير الداعية في جمهوره فإنه يحتاج إلى فنّيةٍ في محاورة الجمهور، حيث يخاطبهم بما يعلمون، قال الإمام عَلِيٌّ: (حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)[(٢)]، وأما علاقة تأثر الداعية بجمهوره فأمره يحتاج إلى شعور الداعية بآلام الجمهور وآمالهم،

---

(١) مسلم كتاب النكاح، باب (١) رقم: ٣٤٦٩، من حديث أَنَس بن مالك ﷺ.

(٢) البخاري كتاب العلم، باب (٤٩) رقم: ١٢٧، من حديث الإمام علي موقوفا عليه.

وعرض مشكلاتهم الواقعية مع التبرع بالاجتهاد في طرح حلول شرعية وواقعية لهذه المشكلات.

ثالثا: إن الصعوبة في الدعوة ليس في اختيار النصوص إنما في أسلوب عرضها، فما أكثر الدعاة الذين يخسرون الجولات الفكرية، والدعاة أصحاب القضية الحقة الصادقة، لكنهم يخسرونها بسوء العرض وبالطعن في المخالف، وهم بذلك قد خالفوا هدي رسول الله – ﷺ- حين قال: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ»[1]، ومن وجهة نظري أن الإشكالية هنا في قضية (تجديد الخطاب) التي لم يستوعبها أكثر الدعاة قبل ثورة يناير.

رابعًا: إنها طبيعة الفترة التي يعيشها المجتمع اليوم، فترة الفضائيات والسماوات المفتوحة والإنترنت، عدم الشغل بالدنيا عن الدين، وفوق ذلك إنه القَبول الذي يضعه الله لمن شاء، والحب المستقر في قلب من يشاء من عباده، والصدق والإخلاص الذي يجب أن يتحلى الداعية به فيذَلِّلُ الله له كل الصعاب ويسبب له سائر الأسباب، وهذا لا يُتَعلّم إنها المعرفة بالله والصلة به سبحانه.

نموذج نبوي في التواصل مع الجمهور:

هناك نماذج نبوية عملية كثيرة تبين كيفية اتصال النبي – ﷺ- بالجمهور (المخالف في الدين) من ذلك الرجل اليهودي الذي جاء يطالب النبي بدَيْنٍ له عند النبي فطلبه بأسلوب لا يليق مع حضرة النبي الأكرم ﷺ، وهو زيد بن سعنة، كان من أحبار اليهود، قد أتى النبي ﷺ يتقاضاه فجبذ ثوبه عن

---

(١) الترمذي كتاب البر والصلة، باب (٤٨)، رقم: ٢١٠٥، من حديث عَبْدِالله بن مسعود ﷺ.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

منكبه الأيمن ثم قال: إنكم يا بني عبد المطلب أصحاب مُطلٍ، وإني بكم لعارف قال: فانتهزه عمر، فقال له رسول الله: «يا عمر: أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج، أن تأمرني بحسن القضاء، وتأمره بحسن التقاضي، انطلق يا عمر أوفه حقه، أما أنه قد بقي من أجله ثلاث فزده ثلاثين صاعًا لتزويرك عليه»(١)، وفي الحديث دلالات منها:

١- فداحة جرم الأسلوب في طلب الدَّيْن حيث تعدي اليهودي بالفعل السيء حيث (جبذ النبي – ﷺ- ثوبه عن منكبه الأيمن)، كما تعدى حد اللياقة فأساء المطالبة بالقول، حين قال: (إنكم يا بني عبد المطلب أصحاب مطل وإني بكم لعارف)، وهذا أسلوب فج يلزم المعاملة بالمثل، لذا انتهره عمر.

٢- لم يقر النبي – ﷺ- الأسلوب الذي انتهجه اليهودي في المطالبة، لذا قال لعمر: (تأمره بحسن التقاضي)، وفي نفس الوقت لم يقر سلوك عمر في الرد على اليهودي، فدعاه للكف عنه.

- لم يدفع الغضب النبي – ﷺ- إلى أكل حق الرجل، وقد لقن النبيُّ ﷺ عمرَ الدرسَ الأول في تصحيح الخطأ، وذلك بالموضوعية عند الحكم للانتصاف من النفس، وأهل المعرفة هنا هو عمر لا خلاف وذلك حتى يتقن الداعية حسن توجيه الداعية لا بالتعنيف والتعنت، إنما باللين في القول.

---

(١) الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، (٢ / ص٣٧)، ومعنى تزويرك: إصلاحك لأمره، والتزوير إصلاح الشيء، ومنه قول عمر يوم السقيفة (كنت زَوَّرت في نفسي مقالة)، أي هيأت وأصلحت، ومنه (كلام مُزوَّر) أي محسَّن، انظر ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (٢/ ٣١٨).

الثالثة: ضعف الإقناع:

بداية المقصود من ضعف الإقناع، ما يتولد لدى بعض المسلمين غبش، أو إشكال حول الرسالة الدعوية، لأن الداعية قد يؤصل رسالته الدعوية أو لا يؤصلها، فإن لم يؤصلها فهذا نذير بفشله في إيصال رسالة الدعوة إلى الجمهور، وقد يقال: إن دعاة اليوم لا يُجيدون الإقناع كما أجاده السابقون، أو كما يُجيده دعاة الفضائيات.

والجواب: إنه من السهل اليسير أن يصعد إنسان فوق المنبر ليكلِّم الناس؛ لكن منتهى الصعوبة في أن يصعد المنبر داعية بصير بالقضية التي يدعو الناس إليها، ويسمعه جمهور بين مصدق أو مكذب أو متشكك، فلابد من إجادة التحضير للرسالة الدعوية، باختيار أنسب الأدلة، ليتسنى للداعية توجيه الجمهور بتوضيح الأمور المبهمة، وإزالة الأمور المشكلة التي تعتبر إشكالًا، عملا يقتدي فيه برسول الله ﷺ.

إن مهمة الدعوة مسئولية يتحملها أهلها، حيث يفرضها عليهم الدين الحنيف، التي ذهل عنها الكثير من دعاة اليوم، رغم قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة: ١٢٢]، كما تفرضها عليهم مسئولية الرسالة التي تحملوها عن أشياخهم ممن سبقهم عن التابعين من السلف الصالح عن الصحابة ثم عن صاحب الرسالة ﷺ عن ربه عز وجل.

ومهمة الدعوة يفرضها على الدعاة المجتمع الذي وثق في علماء الدين ليصلحوا ما يرون فيه من مظاهر مخالفة لصحيح الدين والشرع الشريف دون إثارة فتن أو زعزعة أمن، ومع أن الدعوة رسالة الله فإنها تقويم للمعوَج

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

بالنصيحة الهادئة والأسلوب الهادف، لأن علاج المشكلة الاجتماعية يكون بمعرفة أسبابها وتلافي تلك الأسباب المؤدية لها..

وقلة استيعاب أساليب الإقناع بدقة التحضير، وخفض الجناح مع خلْق الله، وفقه وسائل الإقناع في القرآن والسنة والمنطق من مؤلفات علوم القرآن والسنة النبوية، مع مراعاة أحوال المدعوين.

الرابعة: **الاتهام بـ** (**دعاة السُّلْطَة**):

قد يتهم دعاة المؤسسة العريقة (الأزهر الشريف) بأنهم (دعاة سلطة)، بمعنى أنهم يقولون ما يُملى عليهم، وهذه مشكلة خطيرة، لا يتنبه إليها الكثير، فترك من شاء يقول ما شاء، مع أن بعض الدعاة، بسبب ذلك الاتهام قد ينهزم نفسيًّا، بل قد يتحول عن الفكر الوسطي إلى الفكر المنحرف - فيما قبل ثورة يناير- لا لشيء إلا أن يثبت لنفسه ولمن اتهمه بتلك التهمة، أنه ليس من دعاة السلطة.

إن الداعية البصير الأريب يستطيع رفع تلك التهمة عن نفسه من خلال أمور هي في الواقع من صميم عمله الدعوي، وهي جملة: (خُلُقه وموضوعيته وإدراكه لخطورة الكلمة)، وسوف أفصّل الحديث بعض الشيء حول ذلك:

أولا: (الخُلُق) لأن لخلُق الداعية ورؤيته الثاقبة في جمهوره، وبصيرته وحسه العالي في دعوته، لهذا كله الدور الكبير في احتواء التنافر القلبي، أو الاختلاف الفكري، في أي موقف من المواقف، فلينظر الداعية كيف كان خلق النبي – ﷺ- في مخاطبة الناس؟ قال تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾[آل عمران: ١٥٩]، لقد تم تأثير النبي – ﷺ- في الصحابة بأخلاقه وسلوكه الفاعل.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

ولينظر الداعية في أول خطبة ألقاها أبو بكر –رضي الله عنه- على مسامع الناس، وفي أول لقاء جمعه بهم بعد البيعة بالخلافة؟ كانت حوارا هادئا لينا، أو لينظر كيف حاور الإمام علي الخوارج مع خروجهم عليه؟ بالحوار المنطقي العاقل، هذه مواطن تظهر عبقرية الداعية في تلافي التنافر والاختلاف، لأنه إذا ساء خلُقه، وكان أسلوب دعوته وسلوكه فجًّا فقل على دعوته السلام وعلى الدنيا العفاء.

ثالثا: إن تمسك الداعية بالموضوعية والحياد عند عرض رسالته الدعوية، مع تجنبه وابتعاده عن مواطن الفتن والتهم، بالإضافة إلى الجدية في عرض حلول جادة وفاعلة لمشكلات مجتمعه، مما يرفع عنه تلك التهمة، ، لنرى كيف خاطب النبي – ﷺ- المعارضين من أهل مكة؟ كما أمره ربه تعالى فقال: ﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سبأ: ٢٤- ٢٦]، أم كيف خاطب أهل نجران؟ [(١)]، وقد عاملهم النبي بلين ورفق وأرسل معهم أمين الأمة أبا عبيدة بن الجراح – رضي الله عنه- ، فهذا الموضوعية سبيل النبي في محاورته مع كل معترض مخالف.

---

(١) نجران من نواحي اليمن من ناحية مكة، سميت بنجران بن زيدان بن سبإ، لأنه أول من نزلها وعمرها، وكان أهل نجران على دين العرب تعظم نخلة، ودخلت النصرانية قبل البعثة على يد رجل يسمى (فيمون) عرف بصلاحه، وكان يأكل من كسب يديه، عرفه أهل نجران واتبعوه في دينه، ياقوت الحموي، معجم البلدان، (٥/ ٢٦٦)، ط دار صادر سنة ١٩٧٧.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ثانيا: إن تقوية إدراك الداعية لكيانه الدعوي وخطورة الكلمة، قد يوافق وقد يختلف في الرأي، وقد يتوقف حتى يتبين السبيل، وقد يراجع أفكاره ليهدي حيرته ثم حيرة جمهوره والسائلين، هذا الإدراك ضرورة تَجعل الداعية ذا ثقة ومصداقية لِما يدعو الناس إليه، ويؤكد على أنه داعٍ لله تعالى بإخلاص، صاحب قضية حقة، فليس بوقًا ينعق في كل واد، بل هو صاحب موقفٍ واضحٍ.

رابعـا: إن هذه الدعوى دعاية مضادة ممن لا يريدون الخير للدعوة والدعاة، فلا أساس لها من الصحة، لأن كل داعية حرٌّ فيما يخاطب الجمهور به، إذن رفع تلك التهمة ميسور على الداعية الواثق بربه الواعي برسالته.

وبعد.. فإن الدعوة الإسلامية قبيل ثورة يناير ٢٠١١ م، عانت من مشكلات عامة، وفي الآونة الأخيرة في أعقاب ثورة يناير كذلك، حيث ظهرت مشكلات رأيت القيام بتوصيفها، عرضت لجانب من علاجها، لأنها تمثل عقبة لدى بعض الدعاة، ومنها: (السلبية، وضعف التواصل، وضعف الإقناع، والاتهام بدعاة سُلْطَةٍ) المذكورة آنفًا ، وفيها كفاية لدلالتها على غيرها من مشكلات أخرى.

قد يكون السبب في وقوع تلك المشكلات انشغال أكثر الدعاة بسد احتياجاتهم الاجتماعية، أو لندرة الاطلاع لانعدام الدافع، وصعوبة الحصول على مكتبة علمية نافعة شخصية للداعية عند تعرضه لمسألة فقهية أو قضايا اجتماعية.

ومما يستلزم الإصلاح على مستويين ويستدعي أمرين:

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الأمـر الأول: السـعي الحثيـث للعمـل علـى إصـلاح الـدعوة علـى كافـة مسـتوياتها العمليـة والعلميـة، فالـدعوة أركـان ثـلاث: (داع ومـدعو [جمهـور] ورسالة دعوية).

الأمر الثـاني: العمل على إصلاح الدعاة، كجزء أساسي من العملية الدعوية، للعمل على خلق داعية عالم مستنير، مما يستلزم العمل على إعادة النظر في المكونات الثقافية للدعاة، وفي سبيل ذلك أقوم برصد مشكلات الدعوة من مختلف اتجاهاتها، وخاصة مشكلات الدعاة، أشخص الداء وأضع الدواء، مما يستلزم العمل على إصلاح الدعوة.

المطلب الثالث: ظهور الجماعات الإسلامية أثناء الثورة

سوف أبين جانبا من تلك الجماعات التي أدت بالدعوة إلى ما وصلت إليه أثناء الثورة.

أولا: الجماعات الإسلامية المتطرفة:

هناك تيارات واتجاهات فكرية ظهرت على الساحة وأرادت أن تحل محل الداعية، ومنها:

الأول: تيار جماعة الإخوان المسلمين والتي تأسست على يد (حسن البنا)[1]، سنة ١٩٢٨ م وكانت نواتها الأولى في مصر، وهي حركة أو تيار

---

(١) حسن البنا الساعاتي: (١٩٠٦- ١٩٤٩م)، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين سنة ١٩٢٧ بالإسماعيلية والمرشد الأول لها ورئيس تحرير أول جريدة للجماعة سنة ١٩٢٣، وبدأ تحول تنظيم الجماعة في أواخر الثلاثينات وحتى الأربعينات، انظر طارق البشري، المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية، (ص٦٧٩- ٦٨٢)، وانظر د. هالة مصطفى، الإسلام السياسي في مصر، (ص١٠٥- ١٦٨).

☎ تـلـيـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

أطلق عليه بعض النخبة المثقفة مصطلح (الإسلام السياسي)[1]، وفي هذه التسمية نظر؛ لأن الإسلام دين الله الحنيف لا يوصف إلا بما يليق بكماله، ورفعت الجماعة شعار (الإسلام هو الحل)، وهو شعار براق، فهل يحوي تحته المبادئ والمفاهيم الإسلامية الصحيحة؟! لكن هذه الجماعة جزء من تيار عالمي لها أفرع في أكثر دول العالم شرقا وغربا[2].

وفي أثناء الثورة تفاعلت جماعة الإخوان مع الأحداث، إن لم تكن صانعة لها، فأنشأت حزبا سياسيًّا هو (حزب الحرية والعدالة)، وقد قام على خلفية دينية، كما ظهرت أدبياتها بقوة على الساحة أثناء الثورة، من خلال قنوات فضائية وجريدة تتحدث بلسان حال الجماعة.

الثاني: التيار السلفي الداعم لرؤية الحفاظ على التراث الديني بجزئياته وكلياته، وهو تيار تقليدي قائم على أيديولجية عقدية مصطدمة مع تصور الأشاعرة، ويجنح للتشدد في الاستشهاد بالنصوص فيأخذ بظواهرها من غير نظر في فهمها، أو تخصيص عامها وتقييد مطلقها[3]، وهو تيار قد يخرج عن الفكر الوسطي في بعض المظاهر الفكرية والسلوكية أحيانا.

الثالث: التيار التكفيري[4]، وما في أدبياتها من الخلط في مفاهيم في غاية الخطورة وهي: (الحاكمية)، وتحكيم شرع الله، والعيش في ظلال

---

(١) د. عبدالمنعم سعيد، الدين والدولة في مصر، (ص٢١١- ٣٠٠)، وانظر د. هالة مصطفى، الإسلام السياسي في مصر، (ص٢٣٤- ٢٣٧).

(٢) انظر حسين القاضي، موقف الأزهر الشريف وعلمائه من جماعة (الإخوان المسلمون)، وقد جمع فيه آراء كثير من علماء الأزهر وكبار الأئمة وتصوراتهم في الجماعة.

(٣) د. محمد حافظ دياب، السلفيون والسياسة، (ص١٠١- ١١٤).

(٤) مثل جماعة الإسلامية، والتكفير والهجرة.. إلخ

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

القرآن، و(مفهوم الجاهلية)، و(الجهاد)، واحتكار الوعد الإلهي بـ(التمكين في الأرض)، والولاء والبراء.. وغيرها من الشعارات البراقة.

الرابع: التيار المعتدل الوسطي، الذي يمثل المرجعية لمذهب أهل السنة والجماعة عقديا وشرعيا وقيميا خقليا ، والسمة الغالبة على دعاة الأزهر المحافظة على إرث العلماء الموروث عن الأنبياء فضلا عن خاتمهم ﷺ، وإن علماء الأزهر الشريف وفقهائه ودعاته وأئمته ووعاظه، يتمثلون الرؤية التي سبق عرضها، فلا يجنح لفريق على حساب فريق آخر، ولا لفصيل على آخر، معتقدًا للتعايش والتعاون مع أبناء المجتمع جميعا، مع خلق حالة من الاتفاق والوفاق بين طوائف الشعب الواحد، مع قيام كل راع بما استرعاه الله تعالى قيامًا بمسئوليته التي كلف بها، وقد تبرع بعض علماء الأزهر بضبط فكر الجماعات المتطرفة [1]، والأزهر الشريف مشتهر محليا وإقليميا وعالميا بفكره المعتدل الوسطي الداعم للاستقرار [2].

ثانيا: صلة فكر الجماعات المتطرفة بالشيعة والخوارج:

إن فكر الجماعات المتطرفة تشابه كثيرًا – إن لم يكن تطابق- مع تصور الشيعة لمشروعية الثورة كفكرة المرشد وولاية الفقيه وغير ذلك، مما دعا البعض للربط بين بعض هذا الفكر وتصور الشيعة للواقع؛ لذا فقد باركت الدول التي تدين بمذهب الشيعة للثورة بعد وقوعها ووصول جماعة الإخوان إلى سدة الحكم، بل تشابه فكر الجماعات المتطرفة كذلك مع رؤية الخوارج ورؤيتها في الخروج على الحاكم، بينما كان في هذا الفكر جنوح

(١) انظر د. أسامة السيد، الحق المبين في الرد على من تلاعب بالدين، (ص١٧) وبعدها.
(٢) د. مصطفى الفقي، الدولة المصرية والرؤية العصرية، (ص٢٤٠- ٢٤٤).

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تـليفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

ظاهر وتطرف واضح وعرض مختلف عن تصور ورؤية جمهور علماء أهل السنة لتلك المفاهيم، من هنا يتبين انقطاع صلة فكر الجماعات الإسلامية بجمهور أهل السنة والجماعة.

ثالثا: تأثر بعض الدعاة بفكر الجماعات الإسلامية:

وللأمانة أقول: هناك بعض الدعاة جنحوا عن سواء السبيل، فاتجهوا مع تيار الجماعات الإسلامية وفكره المتطرف، فذهبوا معهم كل مذهب، وصاروا يدافعون عنهم ويتكلمون بألسنتهم، فمن الدعاة من تأثر باتجاهات فكرية لها مآرب تسترها خلاف ما تظهر، فلُوحظ تأثُّر بعضُ الدُّعاة بفكر جماعة (الإخوان المسلمين)، ومنهم من تأثر بتيار (السلفية) فكرًا وفقهًا وسلوكًا، وكان الخوف من أن يتأثر بعضهم بالفكر التكفيري المتشدد، فيكفِّر كل المجتمع، فتكون طامة كبرى على الأمة بأسرها.

إن المفترض قيام الدعاة بمسئولية الدعوة بمنهج أهل السنة، القائم على قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[النحل: ١٢٥]، حتى لا يكونوا سببا في تفعيل الفرقة والانقسام بالمجتمع، ولئلا يقع جمهور العوام والسواد الأعظم في أزمة الفهم، فهل فعل الدعاة ذلك؟ هذا ما أحاول عرضه في المطالب التالي.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

المطلب الرابع: توصيف الدعوة أثناء الثورة

من الممكن القول إن حدث الثورة جلل كبير وخطب عظيم، وهو أكبر من أن يواجهه فئة واحدة بعينها من دعاة أو غيرهم من فئات المجتمع؛ لأن الثورة فتنة وصّفها النبي ﷺ فقال: «سَتَكُونُ فِتْنَةٌ صَمَّاءُ بَكْمَاءُ عَمْيَاءُ مَنْ أَشْرَفَ لَهَا اسْتَشْرَفَتْ لَهُ، وَإِشْرَافُ اللِّسَانِ فِيهَا كَوُقُوعِ السَّيْفِ»(١)، وبذلك فإن النبي – ﷺ – فقد قرر ووضح ونصح للأمة، وأوجز علينا الكثير من الكلام.

ومما لا شك فيه أن التعميم مطية الزلل، فإذا عمَّمنا حكمًا من الأحكام فإن التعميم لم يكن في صالح البحث العلمي، أو المسألة الدعوية أبدًا، لكن واقع الدعاة أثناء ثورة يناير يتبين من خلال قولنا: إن القليل من الدعاة أدرك تصور الإسلام للثورة بمعناه الحقيقي، وأن الكثير منهم لم يكن لديه مفهوم واضح عن الثورة لما وقعت في يناير، بل بعضهم لم يكن لديه الاستعداد الكافي لمواجهتها؛ لأن أكثر القوم – في ضوء ما سبق – من رتابة الوظيفة والتصور الذي يعوزه التقويم، ومن الملاحظ كذلك أن بعض الدعاة والوعاظ بين هؤلاء جميعًا انقسمت كلمتهم واختلفت غاياتهم، وبعضهم قام وفعَّل للفرقة وشارك في الثورة بأسلوب لا يتفق والسمت الصحيح، بدلا من الدعوة إلى الله على بصيرة، والاجتهاد في مسألة واقعية.

ومن حيث الجملة فقد كان الدعاة بين أحد السمات التالية:

السمة الأولى: الوقوع في حيرة:

(١) أبو داود كتاب الفتن باب (٣) رقم: ٤٢٦٦ من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

إن بعض الدعاة وقع في حيرة واضطراب، فلم تتبين له السبيل، ولم يدْرِ: بم يخاطب الجمهور؟ إن هذا أمر محزن، لأن حيرة الدعاة تساوي وقوع الأمة كلها في التشكك، بل وضياع الرؤية الواضحة، فبينما كان المنتظر والمتوقع من الدعاة القيام بالاجتهاد للأمة في أزمتها، فقد وقعوا أنفسهم أو أكثرهم في حيرة وتشتت واختلاف، وظهر ذلك التشتت في انقسام المسلمين إلى شيع وأحزاب وطوائف، وظهر ذلك الانقسام في (إخوان وسلفية وليبراليين وعوام)، كل يبحث عن الدور المنشود، أو الهوية الضائعة، وصدق الله تعالى حين قال: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾[الإسراء: ٨٤]، وقال: ﴿ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾[مريم: ٧٣]، فالله أعلم بمن هو أهدى سبيلا وأقوم قيلا من الدعاة.

السمة الثانية: التأثر بالتيارات المنحرفة:

لقد عاش المجتمع فترة من الزمن أثناء أحداث ثورة يناير، وقد كثرت فيها الآراء وتعددت المذاهب، وصارت ثقافة المجتمع أقوالًا هنا وهناك دون تعقل وروية إزاءها، ودون نقد وتمحيص، ومع شديد الأسف فقد أفرز هذا الوضع سمات ضارة بالدعوة والدعاة إلى حد بعيد، من تلك السمات تعصب بعض الدعاة - أو ممن ألحقوا بالدعوة وليسوا أهلا لها - للرأي والتيار الفكري، والعصبية وصف مقيت ملازم لمن خان أمانة الفكر الوسطي، لأن الوسطية أخص خصائص الإسلام الحنيف، وأضيرت الدعوة ونكل ببعض الدعاة في ظل العصبية للرأي.

أولا: الإضرار بالدعاة، ووجه الإضرار ظهر في مقاطعة الجمهور لبعض الدعاة أثناء الشعائر، بل وقع التعدي على بعض الدعاة، للتعبير الرافض عن عصبية بعض الدعاة ورفض أسلوب طرحهم للرأي بصورة فرض الأمر الواقع،

مع ما يحمل من حجر للفكر وقهر للرأي الآخر المخالف، مع أن التفرقة بين الآراء تتحقق من خلال قوة الدليل أو ضعفه فذاك هو الفيصل في الحكم على الرأي صوابا كان أو خطأ.

ثانيا: الإضرار بالدعوة، ووجه الإضرار بها، إما هو ظهور استنكار الجمهور على الخطاب الديني المتعصب، واستقطاب المنابر للتعبير من خلالها عن فكر خاص، بل وقع التعدي على حرمة المساجد، مثل أحداث وقعت في محيط مسجد (القائد إبراهيم) بالإسكندرية[1]، حيث ثارت بعض الجماهير من الناشئة والشباب بسبب الخطاب الديني غير اللائق وافتتنوا بكلام الداعية.

السمة الثالثة: السير خلف كل ناعق:

كان من الدعاة من يتبعون كل ناعق من غير من هدى أو دليل، والمفترض في الداعية المسلم أن يكون أهلًا للاجتهاد فيما يستجد من أمور وأحوال، وعلى أقل تقدير يعرف من أين يحصل على المعرفة إذا تطلبتها الدعوة وضرورة المجتمع، لأن جمهور المسلمين من العوام يرون في الداعية – في مثل هذه الظروف - ما لا يرى هو من نفسه، فبم يواجه الداعية جمهوره الذي ينتظر منه - بشوق المعرفة- بيان رأي الدين في الحدث الواقعي؛ لذلك فقد وقع كثير من الناس في الحيرة، وتساءلوا: ما هو موقف الدين من الثورة؟ وسأل الجمهور دعاتَه عن موقفهم من الثورة؟ وما تصوره لما حصل في يناير ٢٠١١، هل الثورة مشروعة المطالب يقف بجانبها، أو غير مشروعة فيضادها لحيثيات

---

(١) كان خطيب المسجد أثناء تلك الأحداث (أحمد عبدالسلام المحلاوي)، وهو داعية كان يعمل إمامًا وخطيبا بالأوقاف قبل إحالته للمعاش (١٩٩٦م)، وهو يحسب على تيار جماعة الإخوان، وله مواقف معادية للنظام في عهد الرئيس السادات.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

واضحة، أو بعض مطالبها مشروعة وبعضها غير مشروع؟ فكان على الدعاة واجب محتم في القيام بجواب تلك التساؤلات، فياترى كيف واجه الدعاة هذه المواقف وتلك التساؤلات التي واجه الجمهور بها دعاته؟

السمة الرابعة: الوسطية والتأثر بالفكر الوسطي:

من الدعاة من كان وسطي الفكر والقناعة، فلم يغال مع المغالين، ولم يبالغ في الأمر، لأن الأولى بدعاة الإسلام أن يتعرفوا على شمولية الرؤية الإسلامية للواقع، فلا يليق بداعية تعلم الرأي والرأي الآخر، فقد ألَمُّوا وتعرفوا على هذا وذاك؛ مع اليقين بأن هذا ميراث الأمة الإسلامية وهم مؤتمنون عليه، لأن التأثر بتيارات وأفكار منحرفة من كبريات مصائب الأمة، وبعضهم وقي في ذلك، فدعا إليه فضَلّ وأضَلّ، وهي مغايرة للفكر الوسطي، لأن المكوِّن الأساسي لعقيدة الداعية ما تعلمه من مبادئ (الأشاعرة والماتريدية) في مقابل مناقشات المعتزلة والشيعة والخوارج والمرجئة معهم، ومن بين ذلك تتشكل العقلية الوسطية المستنيرة، وكما كان المكون الأساسي لفقه الدعاة هو ما أنتجه لنا السادة (الأحناف والشافعية والمالكية والحنابلة، والزيدية والإباضية..إلخ)، فكان هذا خير زاد يشكِّل العقلية الدعوية بصورة مستوعبة للرأي والرأي الآخر.

إن معرفة الوسطية فكرًا وسلوكًا، بل ومنهجًا علميًّا دعويًّا هو السبيل الأمثل للدعاة، لأن الإسلام وسطي في الفكر العقدي والأحكام الشرعية والأخلاق، وفي مجال المعاملات، مما يوجب على الدعاة استحضار تلك المعاني عند الدخول في حوار مع المُخالفين في الرأي، فالإغماض عن كلمة حق جارية على لسان خصم – وهي أحق أن تتبع – يعتبر كبيرة من الكبائر إلا إذا خيف أن يترتب عليها فتنة كبرى وشر مستطير، لاسيما إن صدر ذلك من

تـلـيـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

عالم داعية يوجّه الخلق للحق، ولكن كانت العصبية السمة الأولى لبعض الدعاة.

وبعد.. فقد كان الأولى بالدعاة أن يتسموا بموضوعية في عرض القضايا، والتزام الحياد بعيدًا عن وضع المنبر في إطار محدد هو التعبير عن تيار فكري معين، وكان عليهم الالتزام بالوسطية والتمسك بخصائصها وأهدابها، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ففيها علاج الواقع الذي عاشوه أثناء ثورة يناير، ولكن كان استيعاب الدعاة لمعاني وسطية الإسلام فكرًا نظريًّا والمصورة في وسطية الأمة سلوكًا عمليًّا[1]، في حاجة للنظر، وكان الأولى بالدعاة طرح هذه التساؤلات: كيف تعرض دعوة الحق عند اختلاف الناس؟ هل من صالح الخطاب الديني– في هذه الظروف - أحادية الرأي وفرضه ورفض الآخر؟ كيف يمارس الداعية دعوته في ظل انقسام الجمهور؟ ما مدى مشروعية تدخل الرأي السياسي في الدين؟

المطلب الخامس: سمات الدعاة التي أفرزتها الثورة

مما أفرز صفات وأحوالا مختلفة أعقبت أحداثًا جسامًا لا تليق بالدعوة الإسلامية، وهي في حاجة ماسة إلى إعادة النظر، فمما أفرزته الثورة من صفات وقع فيها بعض الدعاة ما يلي:

(١) وذلك للخروج من إشكالية النظرية والتطبيق، فلم يستوعبها كثير من المثقفين، فوسطية الإسلام بالقرآن والسنة نظرية معصومة كاملة، حتى تصير سلوكًا عمليًّا بالأمة المسلمة، وقد يسوء سلوك بعض المسلمين، مما يضر بوسطية الإسلام.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

١- سطحية المعرفة:

مما بدا على بعض الدعاة سطحية المعرفة أثناء الثورة، وقد تكون تلك السطحية بسبب قلة متابعته الجرائد اليومية والأسبوعية والشهرية، أو أن مطالعة الدعاة لا تغطي كل القضايا المطروحة على الساحة للتعرف على حقيقة الآراء الواردة في المجتمع، التي تشكل الرأي العام.

إن المفترض في الداعية أن يكون أعم ثقافة من غيره، حيث يكون أثقب فكراً وأعمق نظرًا، فمن ثقافة الدعاة الفقه في الدين، مع الإلمام بالعلوم المختلفة على قدر الجهد، لفهم طبيعة واقع المسائل المطروحة عليه، وهذا وجه دقيق يظهر فيه الفرق الكبير في العمل بين الداعية والواعظ والفقيه[1]، فلكل من الداعية والواعظ والفقيه والمفتي والمصلح الاجتماعي طبيعة عمل تختلف على الآخر، ولكن أعمها دلالة (الداعية)، لأن الداعي لقب اتصف به النبي – ﷺ- كما في قوله تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ [الأحزاب: ٤٦]، والتاء زيدت للمبالغة، والدعوة أمر من الأوامر الشرعية حيث قال: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾[النحل: ١٢٥].

لذلك فإن قشور المعرفة بالقضايا المطروحة في أثناء الثورات توقع الجمهور في شك وارتياب[2]، ولا تغني عن معرفة لبابها، والإلمام بقشور العلم

---

(١) وهذا أمر في حاجة إلى عقد مقارنة بسيطة بين تلك العلوم الثلاثة على التجوز في اعتبار الوعظ علم كالفقه والدعوة، مع بيان أوجه الفرق بين الثلاثة، وخاصة عند الممارسة العملية.

(٢) إذا تعاطف الداعية ومال إلى اتجاه فكري معين فإنه يضر ولا ينفع، وتذهب دعوته سدى فلا يتأثر الجمهور به.

تـلـيـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ذنب في حق الدعاة لأنهم المعنيون بالبيان عن الله تعالى والبلاغ عن الرسول ﷺ، فمن الدعاة من هو إيجابي لكنه غير مُلمّ بواقع مجتمعه أو باختلاف الفقهاء في المسألة الفقهية الواحدة، والمراد من ذلك أن يكون مجتهدًا نسبيًّا على قدر الجهد، أو على أقل تقدير، لا يعرض نفسه لقضية غير ملمٍ لأوجهها، أو قبل أن يُحيط بها من جميع جوانبها.

فمما يجب على الداعية توفية المسألة المطروحة عليه حقها من البحث والدرس حتى تظهر له رؤية خاصة دقيقة نابعة من علم تام شامل للمسألة من جميع جوانبها، وبذلك تكون دعوته على بصيرة ولا يطالب الدعاة بالكمال العلمي في كل مسألة من المسائل، فهذا مطلب عزيز لا يقدر عليه أعلم الناس، إنما ننشد أن يتخلق دعاتنا بأخلاق حضرة رسول الله ﷺ الإنسان الكامل الذي شرع لنا التبيُّن والتثبت عند مجيء النبأ، أو أن يقول: (اللّه أعلم) عندما يعرض عليه ما علم له به، ففيها كفاية، ووقاية له من الزلل؛ فهذا من هدي الأمة الأول ما أشار إليه عبدالله بن مسعود فقال: (إِذَا سُئِلَ أَحَدُكُمْ عَمَّا يَعْلَمُ فَلْيَقُلْ بِهِ، وَإِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ فَلْيَقُلِ: اللّهُ أَعْلَمُ فَإِنَّ مِنْ عِلْمِ الرَّجُلِ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: اللّهُ أَعْلَمُ فَإِنَّ اللّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[ص: ٨٦]) [(١)]، وقد سار الأئمة المجتهدين وفق هذا السنن من قول (اللّه أعلم)، ففيها إجابة وإفادة ووقاية، وتعلمنا منهم: التحرج من الفتوى والإفتاء بغير علم، وقد يذهل بعض دعاة اليوم عن تلك الآداب التي تحلى بها مشايخنا القدامى منهم والمحدثون عليهم رحمة اللّه.

---

(١) الترمذي كتاب تفسير القرآن باب (٤٥) رقم: ٣٥٦٣، وقال: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. من حديث

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تـليـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

٢- الجهلُ المُركَّبُ:

الجهل المركب هو (عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع)[١]، والإشكالية الخطرة هنا تكمن في أمرين: الأولى: وصف بعض الدعاة بتلك الصفة وهم مسئولون عن البيان للناس.

الثانية: أنهم يفسدون بينما يظنون أنهم يصلحون، فيقعون موقع من نزل فيه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ [البقرة: ٢٠٦]؛ لأن بعض الدعاة قد يضعون أنفسهم موضع التهم، والنبي – ﷺ- دعانا لاتقاء مواطن الشبهات فقال: «فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِى الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِى الْحَرَامِ كَالرَّاعِى يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ»[٢]، فالوقوع في الشبهات وقوع في الحرام وخاصة من أهل العلم الشريف، كما دلنا على ذلك قال الإمام علي: (حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)[٣]، هذا هو اللائق بالرسالة التي يتحملها الداعية، فلا يخوض غمار الحديث في قضايا لا علم له بها، ثم يدلو برأي فيها، ويعتقد أنَّه على صواب، وفي الحقيقة أنه على عكس ما يظنون.

إن الجهل المركّب صاحبه مجادل من الدرجة الأولى حيث يظن أنه على شيء من الحق، والجدل بالباطل من أخس الصفات، وأما الجهل البسيط فإنه

---

(١) والجهل البسيط هو عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالما، انظر الإمام الجرجاني، التعريفات، ص١٠٨.

(٢) البخاري كتاب الإيمان باب (٤٠) رقم: ٥٢، ومسلم كتاب المساقاة باب (٢٠) رقم: ٤١٧٨، واللفظ له كلاهما من حديث النُّعْمَان بْنِ بَشِيرٍ ﷺ، ومعنى يرتع فيه: يقع فيه، كما هو في رواية الإمام البخاري (يوشك أن يواقعه).

(٣) البخاري كتاب العلم باب (٤٩) رقم: ١٢٧، موقوفا على الإمام علي ﷺ.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

أيسر في المعالجة والإزالة منه؛ لأنه يعلم أنه جهل أمرًا من الأمور، فإما يسعى في إزالة جهالته وإما يقر بجهله ويسكت، وأخطر ما في (الجهل المركب) إذا تعلّق حوار الداعية بمسائل أو قضايا معاصرة، تتطلب عرض وبيان الرؤية الإسلامية لها، فمن الضروري معرفة رأي الدين فيها، فيتكلم بما يظنه علمًا، أو فهمًا سليمًا.

وعلاج هذا الواقع يظهر من خلال ما يلي:

أولًا: الاعتراف لأهل الرسوخ في العلم والفضل بما لهم من حق من باب التواصي بالمرحمة، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[آل عمران: ٧٣].

ثانيًا: الإخلاص في الدعوة وفي عرضه لقضاياها، مع إظهار حسن القصد في الاستعانة بالله تعالى، والصدق في طلب الحق من العلم لبيانه للناس.

ثالثًا: التواضع في طلب العلم وخفض الجناح له عند إزالة الجهل، وسؤال أهل الذكر والاختصاص، وعدم التعالي عليهم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فلولا علم الله تعالى بأن مصلحة الأمة وفائدتها العائدة عليها في سؤال أهل الذكر ما أمرنا به؛ لأنهم قد يكون اختصاصهم في غير مجال علوم الدين والشرع الشريف.

٣- الاغتراب الاجتماعي:

المقصود من الاغتراب الاجتماعي، (شعور بعض الدعاة بالغربة في المجتمع ببيئته وثقافته)، هذا الاغتراب لدى بعض الدعاة أثناء الثورة، قد

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

يكون بسبب هجرة بعضهم من بيئتهم وقراهم في الريف الأصيل للمدينة العاصمة لطلب العلم، أو طلب للرزق أو للقرب من الهيئات والإدارات المركزية، قال تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾[الإسراء: ٨٤].

إن الهجرة الوافدة مع أنها مشروعة - بموجب الشرع الشريف والدستور- لكنها هنا مشكلة؛ لأن من يعيش بالقرية قد لا يشعر بأزمات رجل المدينة والعكس، فالإشكالية تكمن في أن يكون الداعية بدعوته في وادٍ والواقع الاجتماعي في واد آخر، أو الداعية في وادٍ وقضايا الرأي العام في مجتمع الناس في وادٍ آخر، من هنا كانت الهجرة سببًا أساسيًّا في اغتراب بعض الدعاة – مع أنهم في الأصل إيجابيون؛ ومن المعلوم أن المجتمع يتلهف إلى بيان عالم الدين ومعرفة رأي الدين في قضايا ماسة لإصلاح الواقع سواء في الأسرة أو التعليم أو القيم الأخلاقية..إلخ.

وإن علاج الاغتراب الاجتماعي يكمن في تفعيل اللقاءات بين الدعاة من جنوب الوطن لشَمالِه، ومن شرقه لغربه، لحصول شيء من تبادل الخبرات والرؤى الواعية بين الدعاة المتميزين، وهو ضروري لحصول الألفة بين الدعاة، وليكن تفعيل هذه اللقاءات بقيام قوافل دعوية للدعاة، مما يضمن تحقيق أهداف سامية منها: (تفعيل السياحة الداخلية، والاطلاع على بيئات وثقافات مختلفة، وتبادل أفكار تثري الحقل الدعوي، وهي الهجرة المطلوبة لنشر دين الله تعالى.

٤- العقوق العِلْمي:

المقصود بالعقوق العلمي، (اكتفاء الداعية بما تحمل من دراسة أولية وانعدام ثقته بالعلماء)، إن النَّسَب العِلمي مطلوبٌ للدعاة العلماء من خلال

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

اتصالهم بالسند المتصل بسلسلة من العلماء المقتدى بهم - عبر العصور المتعددة - إلى سيدنا رسول الله ﷺ، وإن أخطر شيء من وجهة نظري في العقوق العلمي أمور منها:

أولا: انعدام المنهجية التي يتربى الدعاة عليها بصورة واضحة، مما يجعله مختلطًا في فهمه حتى غدا جيل بلا نسب علمي أو هوية.

ثانيا: ضعف الكيان العلمي لبعض الدعاة، حتى يغدو (مسخًا مشوهًا)، لانعدام التأصيل العلمي، فلا يعرف معنى الوسطية ولا المنهجية العلمية، فيتعسف ويتكلف من حيث يظن أنه يحقق ويدقق، أو يتشدد ويتعصب من حيث يظن أنه يحسن ويتقن(١).

ثالثا: الميل إلى كل صاحب فكر وتيار ودعوة، والجري خلف كل ناعق.

وعلاج العقوق العلمي بكثرة الاجتماعات الدورية، واللقاءات العلمية المنعقدة لتقريب الدعاة الناشئة من كبار الدعاة العلماء ليتعرفوا على تجاربهم مع التحصيل العلمي من ناحية، ومعرفة تجاربهم مع الدعوة من ناحية أخرى فتقل الفجوة حتى تذهب الجفوة، وتتقارب الأجيال ويتواصل دعاة الأمة شبابها وشيبتها.

---

(١) كم من دعاة ممارسين للدعوة قد ارتضوا لأنفسهم الاتسام وارتسام خطى دعاة السلفية، والسير وراءهم، والتأسي بهم، فتأثروا بهم في الفكر والشكل والسلوك العام، بل والمذهب الفقهي والعقدي كذلك، حتى غدوا بلا ولاء لمن تعلموا العلم الشريف على أيديهم، أو انتماء لمدرسة الفكر الوسطي.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

وبعد.. فإن الدعاة تظهر لهم مشكلات اجتماعية واقتصادية، لكني آثرت بيان المشكلات التي تَمس واقع الدعاة في مجال الدعوة العملي وهي جملة: (التأثر بالتيارات المنحرفة، وسطحية المعرفة، والجهل المركّب، والاغتراب الاجتماعي، والعقوق العلمي)، وقد تظهر مشكلات أخرى.

***

المبحث الرابع

الدعاة بين الثورة ومنهجية الدعوة عند الاختلاف

المطلب الأول: الدعاة بين ثورة واستثارة

إن الداعية إنسان مهتم بالصالح العام لأمته كلها، فلا يعيش لنفسه بل يعيش للآخرين موجهًا راشدًا ومزيلًا للإشكال، مهتما بأمر أمته ساعيًا في صلاحها وإصلاحها، يستشعر آلام مجتمعه وآماله فيستثار عند انتهاك الحرمة وقطع السبيل والخروج عن حد الصواب والحق والاعتدال، يسدي النصح لكل مسلم حتى يصدق فيه قول النبي ﷺ:«مَنْ لَم يَهتَمّ بِأَمْرِ المسْلِمينَ فَلَيْسَ منْهُم، ومَنْ لَم يُصْبِحْ ويُمْسِ نَاصِحًا للّه ولِرَسُولِهِ ولِكِتَابِه ولِإمَامِه ولِعَامَّةِ المسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُم»(١).

وإن الداعية عالمٌ رباني تصيبه استثارة يتأثر بما يتأثر به المجتمع- لكنه لا يغضب - ليبصر واقع الثورة المأزوم فيستثار أولا على النفس حتى تستقيم، ثم يستثار ثانيا من المظاهر السلبية والخروق الاجتماعية والمشاهد المنفلتة والأوضاع المنقلبة، فإذا كان كذلك استطاع أن يقوم ببيان الحق، وأداء واجب البلاغ والنصح والإرشاد، ولينظر بثاقب نظر وبصيرة قلب، وليدرك بعقله الواقع المأزوم ليضع رؤية سليمة للخروج من الأزمات والمشكلات، ويتصور الحل والعلاج في ضوء الكتاب والسنة المطهرة في أن النبي – ﷺ- لم يأمر بثورة بل أمر بالصبر، وهذه رؤية الحق، قال عبد الله بن عمرو –رضي الله عنه- لما واجهه رجل بمظالم في عهد سيدنا معاوية، فقال: (أَطِعْهُ فِي

(١) الطبراني، المعجم الأوسط، باب العين، باب الميم من اسمه: محمد ، رقم: ٧٦١٤، من حديث حذيفة بن اليمان.

تـلـيـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

طَاعَةِ اللَّه وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ)[1]، وهو جواب عام مقبول يدل على أن القائل لا يحبز الثورة، ولا يردها..

المطلب الثاني: منهجية الدعوة عند الاختلاف

مما لاشك فيه أن حاجة الدعوة إلى وضع آلية ومنهج عام يعمل به عند اختلاف الرؤى، له إمكانية في بناء معرفي عن الآخر يتيح التواصل والتحاور والتشاور، فلا شك أن هذا السبيل يتطلب إلمام الداعية المسلم بكل دروب الفكر ومسالك المنطق، ومن الممكن بيان المراحل الآتية كخطوات منهجية وآلية ضرورية للداعية عند الاختلاف، وهذه المراحل أوضحها في العناصر التالية: (١) تحديد المفاهيم، (٢) توصيف الواقع المأزوم، (٣) استيعاب استعداد الجمهور، (٤) اختلاف أحوال الجمهور (وقت الأزمة)، (٥) رفع الخلط بين المصطلحات (وقت الأزمة).

أولا: تحديد المفاهيم:

تحديد المفهوم من الضوابط المنهجية التي ينتهجها الداعية عند اختلاف وجهات النظر، حيث يجنح لتحديد المفهوم، فبه يتجنَّب الخلط واللبس في الفهم، مع الانتباه إلى تعدد المفاهيم فهل المفهوم عند الاستعمال لغوي أو شرعي أو اصطلاحي أو عرفي؟ مع اعتبار أن تعدد المفهوم من أقوى أسباب الاختلاف بين العلماء، وكل مفهوم يحتاج إلى إزالة غموض يعتريه، مع ضبط المصطلح محل الخلاف بالضوابط المنهجية، والمراد به بيان معناه ومفهومه بوضوح ودقة

(١) مسلم كتاب الإمارة باب (١٠) رقم: ٤٨٨٢، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ترفع عنه اللبس والغموض وتزيل الخلط في معناه الحقيقي، والمصطلح يعني اللفظ الموضوع لمدلول معين[1].

ثانيا: توصيف الواقع المتأزم:

ينبغي أن يعرف الداعية كل أناس بما لهم من قيم عليا، ومبادئ عظمى سواء تلك التي أفرزها التدبر في وحي الكتاب المنزل، أو أفرزتها الخبرة البشرية والتجربة الإنسانية، التي يسيرون في ضوئها، لابد للداعية المثقف من القيام بتوصيف الواقع المتأزم ليعرف شيئًا عن كل شيء، ويتعرف على ثقافات الآخرين لإرادة الاتصال بهم، ويتزود من ثقافة عصره ويحسن ترشيدها، لأنه يلاقي عند بلاغ الدعوة والرسالة احتكاك جمهور متعدد الأهواء والأمزجة، بين موافقين لدعوته وآخرين مخالفين له وغيرهما مترددين بين هؤلاء وأولئك، وهذا يتطلب من الداعية المسلم احتواء اختلاف الجمهور في ثقافة وتعليم أو في العقيدة والدين، أو في المذهب والرأي، أو في التوجُّه وأسلوب الحياة، مع بيان أن غيره من الدعاة مخالفين له في الرأي والتوجه بأي وجه من وجوه المخالفة، والمقصود من المخالفين، سواء أصحاب الأفكار المتطرفة، أو النظريات والمذاهب الفكرية الظنية، أو الآراء الغريبة التي تحمل رؤى مخالفة لأحكام الإسلام عقيدة أو شريعة أو أخلاقًا.

ثالثا: استيعاب استعداد الجمهور:

قد أوضح لنا النبي في صورة (تشبيه مركّب) موقف الجمهور من الوحي، فقال النبي – ﷺ – : «مَثَلُ مَا بَعَثَنِى اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ

(١) انظر د. علي جمعة محمد، المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم، ص٢١.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً، وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[1]، هذا يدل على أن الجمهور ليسوا على مستوى واحد من حيث تلقي العلم وقبول الدعوة، فضلا عن نشرها بين الناس، وأشار النبي – ﷺ- إلى ذلك.

قال الإمام النووي مبينا معنى الحديث: (الحديث تمثيل الهدى الذي جاء به رسول الله – ﷺ- بالغيث والمطر، ومعناه أن الأرض ثلاثة أنواع وكذلك الناس: أما النوع الأول من الأرض فينتفع بالمطر فيحيا بعد أن كان ميتًا، ينبت الكلأ فتنتفع بها الناس والدواب، كذا النوع الأول مَثل لمن اقتنع عقله بتلك الرسالة الدعوية، وقَبِلَهُ ممن تعلَّم الهدى والعلم ويُعَلّمه، من الناس يبلغه الهدى والعلم فعلِمَ وعمل، ثم علَّم. النوع الثاني من الأرض ما لا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فائدتها إمساك الماء لغيرها فينتفع بها الناس والدواب وكذا النوع الثاني من الناس مثل لمن لهم قلوب حافظة لكن ليست لهم أفهام ثاقبة. النوع الثالث من الأرض السباخ التي لا تنبت فهي لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع غيرها، كذا النوع الثالث من الناس ليست لهم قلوب حافظة ولا أفهام واعية)[2]، هذا هو حال الجمهور في الوقت المعتاد، فتختلف أحوال الجمهور، كلٌّ بحسب

---

(١) البخاري كتاب العلم باب (٢٠) باب فضل من علم وعلّم، رقم: ٧٩، واللفظ له، ومسلم كتاب الفضائل، باب (٤) رقم: ٦٠٩٣، كلاهما من حديث أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيّ ﷺ.

(٢) انظر ابن حجر فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٣٠٥/١)، وانظر النووي، شرح صحيح مسلم، المجلد الثامن، (١٥/ ٤٧ – ٤٨).

تـلـيـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الاستعداد وقبول الدعوة وتركها، بين أحوال ثلاث: أولهم: من تعلَّم ويُعلِّم، ثانيهم: من تعلَّم ولم يُعلِّم، ثالثهم من لم يتعلَّم ولم يُعلِّم.

رابعا: اختلاف أحوال الجمهور (وقت الأزمة):

إن وقت الثورة وقت غير معتاد حيث يعتبر (وقت أزمة)، فإن الأمر يختلف، خاصة وأن وسائل الإعلام تلعب دورًا كبيرًا في نشر الفوضى والشائعات الكاذبة وتزييف الحقائق، فتقع (حرب الدعاية)، بما لها من موقف سلبي، فمما يتحتم على الدعاة بحكم المسئولية الشرعية والواجب الوطني والضرورة الاجتماعية القيام بعرض ما يهدي الحائر ويدل السائل وينبه الغافل؛ لأنهم محط الفائدة، وسفينة النجاة.

وإن جمهور المخاطبين تختلف أحوالهم وقت الأزمة بين أحد أمور ثلاث: إما حال المتصل من الحق، وإما حال المتحير المتردد فيه، وإما حال المذعن للحق المصدق له.

(أ) حال المذعن للحق (خضوعاً أو رجوعاً):

إن المذعن للحق رجل فهم الواقع بحجته، وألهم الصواب بأدلته فأذعن سواء أذعن استدلالا أو تقليدا واتباعا، وسواء خضع للحق من أول وهلة أو رجع إليه بعد تردد، فإن بدا ضعف أدلته وظهرت أمارات الحق عند غيره، فإنه يرجع إليه لأنه الأصل المتبع المتفق عليه، وهو يخضع للحق لأنه خير من التمادي في الباطل، حتى يصل لدرجة الإذعان.

الداعية يختار أنسب الأساليب اللائقة بحال المذعن للحق، وأنسب المناهج مع صاحب هذا الحال هو منهج الحكمة[1]، ومن مسئولية الداعية وهدايته للحق العمل على بيان تجربة المذعِن للحق في سبيل بحثه قبل بلوغ الحق للاستفادة منها، وتثبيت حجته التي انتهى إليها، بأوضح دليل مع أقوى استدلال.

(١) الحكمة هي: وضع الأشياء في موضعها، وهي: الإصابة في القول والعمل. وهي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. انظر د. محمد أبوالفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، (ص٢٤٤ – ٢٤٥).

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

(ب) حال المتنصل من الحق:

إن المتنصل من الحق خصم يعاند الحق مهما ظهر له الدليل، وهذا التنصل من الحق من أبغض أحوال الإنسان؛ لأن الله أوضح كراهية هذا الشخص وسوء حال صاحبه فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٨- ٩]، لأن التنصل قرين العناد.

والداعية يختار أنسب الأساليب للمتنصل باستخدام الجدال بالتي هي أحسن(١)، مع اتقاء وقوع الجدال في غير موضعه الصحيح، وبيان حكمه والنهي عنه والترهيب منه، ليجنب الداعية الأمة من شر الجدال.

إن منهج الجدال أنسب المناهج مع صاحب هذا الحال، بشرط أن يكون بالتي هي أحسن، ويستثمر ما فيه مما يعود على الأمة والدعوة بالنفع، مع معرفة مساحةَ الاختلافِ المشروعِ، ومعرفة حدود قبول الآراء المختلفة والمتنوعة في الواقع، لأن هذا يثري الساحة الفكرية من غير خروج عن أصول الإسلام العقدية والشرعية والخُلُقِية، حتى ينفع الأمة ولا يضرُّ بها.

---

(١) الجدال: دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة، ومن الجدل ما يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها ومنه ما يتعلق بمقابلة الأدلة لظهور أرجحها، انظر المرجع السابق، ص٢٦٤.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

(ج) حال المتحيّر المتردد:

إن المتحير له حق على الدعاة المربين وأهل العقل والحكمة؛ لأنه رجل له عقل راجح يجتهد به وينظر في الأدلة، لكنّه أصابته حيرة في موقف ما، وهذا شأن كثير في وقت الثورة على اعتباره وقت أزمة، حيث يتوقف في حيرة واضطراب عن تكوين رأيه لتلاحق الأحداث وكثرة الأقوال المطروحة، فتساوت جميعها لديه أو تعارضت الأدلة أو أشكلت عليه، فلم يتبين الطريق الصحيح وأرجح الأقوال من ضعيفها.

وأنسب أساليب الدعوة مع هذا المتحير هو (الموعظة الحسنة)، وأنسب المناهج معه منهج الموعظة الحسنة[1]، فإسداء النصح والإرشاد بالموعظة بلين ورفق رشيد في محاورة المتحير من مسئولية الداعية لأن اللين في دعوته قد أمر الله بها موسى وهارون –عليهما السلام- في محاورتهما مع فرعون، فقال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤]، إن استخدام العظة الحسنة والعمل على تبصير المتحير بمواطن الحق والهدى

وإن توقف المتحير في مسألة كان متشككًا، والمتشكك خاطبه النبي بقوله ﷺ: «فَلْيَطْرَحِ الشَّكَّ وَلْيَبْنِ عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ»[2]، وإن أخذ برأي شخص من غير معرفة دليله كان مقلدًا، فاللين مع المتحير أولى وأقرب للصواب، والقرآن يمدنا بأنسب منهج مع أهل الحيرة والاضطراب، والداعية يقوم

---

(١) الموعظة: مرادفة للنصيحة انظر د. محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ص٢٥٨.

(٢) مسلم كتاب المساجد باب (٢٠) رقم: ١٣٠٠، واللفظ له، وأبو داود كتاب الصلاة باب (١٩٩) رقم: ١٠٢٦، كلاهما من حديث أَبِي سَعِيدٍالْخُدْرِيِّ ﷺ.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

بالترجيح بين الأقوال إن وجد طلب المتحير منه ذلك، أو رأى قبوله لرأيه، فيجب عليه بيان أنسب الآراء للواقع وأيسرها على الناس وأرفقها بهم، وأقربها إلى الفطرة السليمة بالدليل الواضح والحجة المقنعة.

خامسا: رفع الخلط بين المصطلحات (**وقت الأزمة**):

هناك مصطلحات عديدة جديدة على العقل الواعي لكثير من الدعاة، تظهر على ساحة المجتمع في وقت الثورة، ومنها (الاعتصام – الإضراب – المظاهرة – التظاهر السلمي – الثورة – الثوار – مطالب الثورة – المطالب الفئوية – الإرهاب – البطالة – الحوار المجتمعي – الأمن الاجتماعي– الديمقر اطية – التنمية – المواطنة.. إلخ)، وهذه مفردات أرى أن بعض الدعاة قد صدم عند ورودها على سمعه، ومن الضرورة الإلمام بفهم (الحد الأدنى من الثقافة العامة) حولها، وهي مادة علمية تنقص الكثير من الدعاة، ليتعرفوا على الواقع الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

فإن الداعية يعرف ما يناسب مقاصد الإسلام العليا ويكون فيها من المصلحة للناس فيؤكد عليها، ويعرف ما يصطدم مع الرؤية الإسلامية فيشجبها بلين ورفق، ويتجنبها ويجنّب الناس شرها، مع استحضار الأدلة المناسبة، وبذلك ندرك دور الدعاة البالغ الغاية من الأهمية في وقت الثورة كوقت التباس واختلاط العديد من المفاهيم على الجمهور، ومن الضرورة تحرير المصطلح لأن الفصل بين الاتجاه الفكري وبين الرأي الشخصي الذي يتبناه شخص ليعرضه على أنه فكر مسلم بصحته فيخلط على جمهور الناس.

تـلـيـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

المطلب الثالث: الدعاة والأزمات الفكرية

أولا: معنى الأزمة:

الأزمة هي (الشدة من المحن التي تصيب العبد فيما يلقاه من كبد الحياة)، وقد تكون الأزمة عامة في المجتمع، وقد تكون خاصة بفرد دون غيره، وقد عالج الإسلام الأزمات على جميع المستويات.

هناك أزمات فكرية عديدة تواجه الدعاة ومن هذه الأزمات الفكرية ما يلي:

ثانيا: المشكلة السكانية:

أولا: أزمة المشكلة السكانية: فمن المستبعد عقلا أن أمة تعاني من (الفقر والمرض والجوع) وتعاني من مشكلة سكانية مزمنة، تخاطب بقول النبي ﷺ: «تنَاكَحُوا تكْثُرُوا فإِنِّي أبَاهِي بِكُم الأمَمَ يوْمَ القِيَامَةِ»[1]، مع العلم أن المقصد النبوي من الكثرة ليست لذات الكثرة؛ لأن القلة العالمة الواعية القوية خير وأحب إلى الله تعالى من الكثرة الجاهلة الضعيفة، قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠]، هذا يلقيه قصار النظر من بعض الدعاة على مسامع الجمهور، لتصل رسالة الدعوة سلبية مضادة لتخطيط الدولة حول المشكلة السكانية؛ لأن الدعوة الراصدة لمشكلات المجتمع،

---

(١) الصنعاني، المصنف، كتاب النكاح، باب وجوب النكاح وفضله، رقم: ١٠٠٨٨، من حديث سعيدبن أبي هلال ﷺ.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الواعية بوسائل علاجها، منوط بها أن تكون معينة لبقية مؤسسات الدولة في ذلك النطاق.

ثالثا: أزمة المواطنة:

أزمة (المواطنة)، إن قمة ثقافة الداعية أن يعرف آلية التعامل مع المخالف في الرأي والمعتقد، وإن علاقة الداعية المسلم بالمختلف عامة، وبالمخالف في العقيدة خاصة علاقة تعارف لا تناكر، لأن الآخر تتوفر لديه من الحكمة التي ينتفع بها المسلم باعتبار أخوة الإنسانية لنشر الخير العام، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾[الحجرات: ١٣]، والله تعالى نهى عن جدال أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، فقال: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[العنكبوت: ٤٦]، مبينًا لآلية التعامل معهم، فهل يعرف الدعاة أن أول من فعَّل المواطنة هو الرسول، من خلال ميثاق المدينة المنورة بعد الهجرة؟ وما مدى استيعاب الدعاة لذلك المصطلح؟ وما تصور الإسلام للمواطنة إلا ذات التصور للتعايش السلمي والتعارف الإنساني؟

لقد علمنا النبي – ﷺ- رؤية المواطنة وحب الوطن، أول ما تحاور بعد الهجرة لأهل المدينة، وذلك عندما عقد أول ميثاق لحقوق الإنسان في تاريخ البشرية كلها، وهذا يوضح مدى استيعاب النبي – ﷺ- للآخر المخالف له في رؤية الواقع، بل إن الآخر قد تتوفر لديه من الحكمة التي هي ضالة المؤمن، أنّى وجدها فهو أحق الناس بها، ما لم يعتدِ الآخر عليه بأي لون من ألوان الاعتداء، أو يسعى في الأرض فسادًا.

المطلب الرابع: نماذج دعوية وقت الأزمات

أولا: نموذج دعوة النبي وقت الأزمة:

من النماذج المعالجة للدعوة (وقت الأزمة) في سيرة النبي – ﷺ- والخلفاء الراشدين ما يلي:

النموذج الأول: النبي عند يوم الخندق إذ تجمع الأحزاب حول المدينة، وعبر القرآن عن الحالة التي كان عليها النبي – ﷺ- وصحبه فقال تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ١٠-١١]، وهذا التوصيف دال على أن الوضع متأزم، فقد بلغ الخوف من الصحابة مبلغه، حتى جمع النبي – ﷺ- بين الصلاتين، قال سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: (مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ)[1]، شرعت (صلاة الخوف) من أجلها[2]، وإذا بالرسول – ﷺ- يرتفع بمعنويات صحبه يوم الأحزاب، وفي من الكرب والهم ما فيه، ففي حديث أَنَس ﷺ قال: (كَانَتِ الأَنْصَارُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ تَقُولُ: نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا ❖ عَلَى الْجِهَادِ مَا حَيِينَا

(١) مالك في الموطأ رقم: ٤٤٧، من حديث سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ﷺ.
(٢) وشرعت صلاة الخوف على اختلاف بين العلماء في سببها فقيل: في غزوة ذات الرقاع سنة ٤هـ، وقيل في غزوة الخندق سنة ٥هـ وعلى أية حال فالأمر بينهما يسير؛ لأن غزوة ذات الرقاع قريبة الشبه من يوم الخندق فكلاهما وقت أزمة وكرب، انظر د. محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، (ص١٩٩- ٢٠٠).

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

أَبَدًا، فَأَجَابَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ فَأَكْرِمِ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ»(١).

وهذه مجاوبة النبي – ﷺ- لصحبه في الكلام المنظوم تدل على أمر في الغاية من الأهمية وهو المشاركة الوجدانية من النبي – ﷺ- لصحبه، وروح المجاوبة المبدعة الخلاقة التي منحت أنفس الصحابة القوة المعنوية التي تزلزل الجبال، وتتحمل الصعاب، تقوي العزم وتشد الأزر، وترفع الروح المعنوية وتزكي الأنفس، حتى مرّ يوم الخندق عليهم من غير خسائر تذكر، والحمد لله لاب العالمين.

ثانيا: نموذج دعوة الصديق وقت الأزمة:

النموذج الثاني: وقت إشاعة خبر وفاة النبي– ﷺ- وكان سيدنا عمر لا يرى وفاة فأخذ يكلم الناس، وتعامل الصّديق –رضي الله عنه - مع الموقف بعدما تأزم الحال، ودخل على النبي – ﷺ- وتأكد لديه خبر الوفاة، ثم خرج فأمر عمر بالجلوس، ثم قرأ آية من كتاب الله تعالى وقعت موقع التلبس التام بالموقف المتأزم، فهدأ الثائر ودلت الحائر وبلغت مبلغ اليقين للشاك المضطرب، فكان مما خاطب به أبو بكر الناس بعدما حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ أنه قال: «أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]، وَقَالَ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:

(١) البخاري كتاب الجهاد باب (١١٠) رقم: ٢٩٩٨ من حديث أنس ﷺ.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

١٤٤]، فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ..»[(١)]، هذه الخطاب القوي العاقل، مع تلك الأدلة الواضحة القوية الدالة على مجاوبة الحدث حيث وقعت موقع اليقين الكاشف للواقع المتأزم الذي وقع فيه الصحابة –رضي الله عنهم- بخبر وفاة سيد الخلقﷺ.

وإذا أخذنا نسير مع سيرة النبي – ﷺ- وخلفائه الراشدين لتعرفنا على ما يسمى بـ (فقه الأزمة)، كيف يخاطب الداعية جمهوره في وقت الأزمات، وما الدليل المستخدم فيه، ووسائل إقناعه، وأساليبه الحوارية، هذا مما كان يجب أن يستعد به الدعاة لمواجهة أزمة الثورة، وفي كل أزمة خاصة كانت أو عامة يواجهها الداعية بذلك، وهو أدرى بجمهوره من حيث البيئة والثقافة والعقلية، ما يقنعه وما لا يقنعه.

***

(١) البخاري كتاب فضائل الصحابة باب (٦) رقم: ٣٧١٢، وانظر مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة الصديق، ص٧٩.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

المبحث الخامس

دور الدعاة المنشود

المطلب الأول: دور الدعاة في تحقيق الإقناع

إن مراد الشارع من الأمة تكليف وانتداب نفر منها تبعثهم لطلب العلم ومعرفة أحكام الشرع، حتى يبلغوا بقية الأفراد، قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وإن فقه الداعية من أكبر عوامل إقناع المخاطب.

ومن فقه الدعوة استخدام أساليبَ الدعوةِ المناسبةَ لحال المخاطَب، وأساليبُ الدعوة هي: (الطرق التي يسلكها الداعية لتحقيق الإقناع بدعوته) (١)، ومن الصعوبة حصر أساليب الدعوة لأنها متنوعة وكثيرة ومتجددة، وتتبين الأساليب المناسبة بدراسة الداعية أحوال المختلفين ليعرف أنسب المناهج والأساليب لجمهوره، من حيث قبول الدعوة أو رفضها، ومن حيث قبول الحق أو رفضه، ومن حيث الاتفاق أو الاختلاف.

أولا: أهمية القناعة العقلية للدعوة:

إن المهمة الأولى للدعاة هي تحقيق القناعة العقلية لدى الجمهور، من خلال الرسالة الدعوية التي يلقيها على مسامعه، حتى يعرف الحقيقة، وإن مسألة تحقيق (القناعة العقلية) للجمهور من الأهمية بمكان سواء أكانت رسالة الدعوة في خطبة منبرية جامعة، يجتمع المسلمون لها بأعداد غفيرة

(١) انظر د. محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ص٢٤٢.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وجماعات وفيرة، أو كانت رسالة الدعوة في درس ديني، أو لقاء علمي، أو مقال يحمل فكرة تبني وعي المجتمع.

هل كل الجمهور يخرجون بنسبة واحدة من القناعة العقلية؟ الجواب بالقطع: لا؛ لأن القناعة العقلية لدى الجمهور أمر نسبي تَختلف من شخص لآخر، بحسب استعداد كل شخص وقدراته، وتبعًا للفروق الفردية لدى الأفراد فكلٌّ على قدر اجتهاده واستيعابه، وحسب القبول للدعوة.

إن توقفت القناعة على استعداد الجمهور فقط فلا حرج على الداعية، لكن الأمر يتوقف على حِرَفيّة الداعية في توصيل المعلومة الدينية والمعرفة الإنسانية، إلى جمهوره، لكن ظهرت هنالك إشكالية وهي أن البعض لا يهتم بما يلقى إليه، والبعض يشهد الجمعة فقط لأنها شعيرة دينية وأمر رباني، والبعض قد يظهر قناعة عقلية ثم يخالف قناعاته عند التطبيق والممارسة.

ثانيًا: كيفية الوصول للقناعة العقلية في الدعوة:

إن الجمهور مختلف في ثقافاته وميوله واتجاهاته، وإقناع جمهور سمته الاختلاف من أشق الأشياء على الدعاة، فإذا كان وقت الدعوة محفوفًا بفتنة الثورة فإن شأن الدعوة يعظم ويشق على الدعاة العلماء، لذا لاذ البعض بالصمت والسكوت، وإن الوصول للقناعة العقلية يبدو في نقاط معينة – بعد توفيق الله تعالى - للدعاة في إنجاح الرسالة الدعوية، وبلوغ القناعة العقلية كهدف مرجو من الدعوة، ومن هذه النقاط ما يلي:

أولًا: يجب أن تكون الرسالة الدعوية كاشفة عن أحكام القرآن والسنة، سواء أكان (إيجابًا أو سلبًا)؛ لأن هذه المسئولية الأولى للداعية، الكشف والبيان عن شرع الله تعالى، والبلاغ عن سيدنا رسول الله ﷺ.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

ثانيًا: يجب أن تكون الرسالة الدعوية نابعة وصادرة مما يعانيه مجتمع الناس، أو تكون مشتملة على ما يشغل المجتمع، ويدور على ألسنة الناس فيكون حديث الساعة؛ لتصدير مصداقية لدى الجمهور المتلقي.

ثالثا: يجب أن تكون الرسالة الدعوية قصيرة، لدرجة أن تبلغ مبلغًا ميسور الحفظ لنصوصها في ذاكرة الجمهور؛ لأن العقل يحفظ ما يعجبه ويبهره ويقنعه.

رابعًا: يجب أن يكون دافع الرسالة الدعوية النصح لأئمة المسلمين وعامتهم، ويصل هذا المعنى للجمهور، وأن تعمل الرسالة على تحقيق مقاصد الإسلام العليا، من الدعوة إلى تحقيق العدالة في الأرض، وتوحيد كلمة الأمة؛ لتكون كلمتها سواء، معتصمة باللّه ورسوله، قاصدة حفظ الكليات الخمس.

خامسًا: ضرورة وضوح الأدلة، ووجه الاستدلال منها؛ حيث لا يكتفي الداعية بإيراد أدلة (القرآن والسنة)، ثم لا يبالي: هل فهم الجمهور الأدلة أو لم يفهمها؟، لأن الركون إلى فهم الجمهور لها، فقد يسيء فهم النصوص الكثيرة، وقد تتداخل عليه أو يشكل عليه بعضها، مع تجنب النصوص المشكلة، مع اجتناب الداعية السرد السلبي للأدلة.

سادسًا: تزاوج العاطفة بالعقل؛ عند أداء الرسالة الدعوية، لأن من الجمهور من تغلُب عليه القناعة العقلية ، ومنهم من تغلُب عليه العاطفة الإنسانية، فلابد من جعل الرسالة الدعوية جامعة بين العقل والعاطفة، ليدْخل للجمهور من كل باب.

سابعًا: استخدام وسائل الإقناع الواردة في الأساليب العربية، مثل (الاستفهام)، و(النداء)، و(التنبيه)، و(التشبيه)، و(التمني)، و(اقتران

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

المتماثلين).. إلخ، وهي أساليب قد استخدمت في القرآن الكريم والسنة المطهرة، مع إجادة لغة الجسد عن التعبيرات المختلفة.

المطلب الثاني: الدعاة ومسئولية البلاغ

أولا: تعريف المسئولية:

تعريف المسئولية هي: (تَحَمُّل الشخص نتيجة التزاماته واختياراته العملية، من الناحية الإيجابية والسلبية، أمام الله وأمام نفسه، والناس أجمعين)[1]، وهذا التعريف مأخوذ من تكليف المسلم في الشريعة الغراء، وتتحقق بأداء المكلف لواجباته وتحمُّله للحقوق؛ فهو مسئول عما صدر عنه من تصرُّفات، بمجرد بلوغ الرشد، فالمسئولية أمر أساس في الإسلام حيث جعل الفرد مسئولًا عن قوله وفعله وتركه، ثم تأتِي المجازاة بعد ذلك جزاءً حسنًا على صالح عمله أو عقابًا على سوء ما قدم، وإن الداعية يعلّم المجتمع تلك المسئولية، حتى تستقيم العلاقات الإنسانية بين البشر، فلابد أن يتحلى بها.

ثانيا: الدعوة ومسئولية بلاغ الرسالة:

إن الدعوة مسئولية رسالة شريفة واجب بلاغها، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وهذا أمر بتكوين الأمة للدعاة، حتى يدعون إلى الخير، وهذا إخبار عن غالب حال الدعاة، كقيد للدعوة، فلا يظن أن الدعاة يدعون الأمة للشر، أو يسعون فيه، لذا قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ

(١) انظر مقداد يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، ص٣٣١.

﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[فصلت:٣٣]، لأن موضوع الدعوة الرسالة التي بعث الله بها نبيه الخاتم رحمة للعالمين، في الأصل تقلبت بين الناس، وهي رسالة أنبياء الله ورسله الكرام، وبالتالي فإن نظرة بعض الدعاة لدعوتهم على أنها مجرد بين (حضور وانصراف) صرف وتحويل للدعوة عن أصل مراد الله لها، وتهميش للرسالة وتهويش لها، وتضييع لفائدتها المرجوة، مما جعل الدخلاء يدخلونها في غفلة من الزمن، ومما جعل النفوس الضعيفة تتناولها.

الحق أن الدعاة يجب أن يضعوا بين أعينهم قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وورد في تفسير البصيرة: (الدعوة بحجة واضحة غير عمياء، وقيل: على يقين وحق، ومنه فلان مستبصر بهذا)[1]، فالأصل أن الداعية المسئول دعوته تكون على بصيرة، ومسئول عن توجيه الجمهور السواد الأعظم، بل ومسئول عن توجيه انحراف أصحاب الاتجاهات المتطرفة؛ لأن مسئوليته أعم وبلاغه أهم، فلا يتبع الداعية أحدًا، ولا ينشغل بأفكار مخصوصة، لأن هذا يعد خروجا منه عن أصل دعوته المكلف بأدائها للأمة، ومسئوليته المنوطة به.

إذن الدعوة ليست مجرد مهنة أو ظيفة، حتى لا تكون غرضًا لأصحاب الفكر المتطرف والاتجاه المنحرف، فأي الفرقاء وأي الاتجاهات خير مقامًا وأحسن نديًّا، الكل يود القيام بدور الدعاة، ويتكالب على الداعية البصير ليستميله إلى منهجه وطريقه.

(١) انظر البيضاوي، أنوار التنزيل، (١/ ٤٩٨)، والزمخشري، الكشاف، (٢/ ٣٤٦)، والإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد الخامس، (٩/ ٢٤٧).

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

المطلب الثالث: الدعاة ومسئولية الإصلاح

الدعوة ومسئولية الإصلاح:

إن وقوع الثورة يتيح ظهور مظاهر شاذة ومنحرفة في المجتمع، وهذا وقع بالفعل بنشوب أحداث ثورة يناير حيث فشا الانحراف بصورة كبيرة على أبعاد مختلفة، فعلى البعد الفكري ظهرت الأفكار المنحرفة من التكفير والإلحاد، والحرية المنفلتة، وعلى البعد الاجتماعي ظهرت ظواهر سلبية في المجتمع مثل الانتحار والصدام بين فئات المجتمع المختلفة، ومظاهر (البلطجة)، والمطالب الفئوية، واستحلال أموال الغير، وعلى البعد الأخلاقي الظواهر القيمية المنفلتة من أنانية وانحلال خلقي.

ولاشك أن دور الدعاة إصلاحي بالدرجة الأولى، فيجب تفعيله في ظل هذه الظروف المتشابكة، بنشر تصور الإسلام لهذه الظواهر المنفلتة، والدعاة قادرون على بيان حقيقة الرؤية الإسلامية لهذه الظواهر، ونشرها بين الناس، مع بيان خطورة الاعتداء على الآخرين، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، وباستعادة رؤية الإسلام للإصلاح، يتبين أن الأصل في الدعوة الإسلامية عمل الدعاة على التذكير بمعتقد الخلافة الإنسانية في الأرض لعمارتها، والنهي عن الفساد والإفساد فيها، مع القيام بواجب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، بقيوده وشروطه وضوابطه لئلا يضر بدعوته، في ضوء الدعوة بمراتبها المبينة في قوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ لأن الأصل في دعوة السواد الأعظم من جمهور الناس، فتنفع الدعوة بالحكمة، معهم وتؤتي ثمارها، ومنهم الأمي

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

البسيط فتجدي معه الدعوة بالموعظة الحسنة، ومنهم الشاك المرتاب فيحتاج الداعية معه مجادلته بالذي هي أحسن.

ومن وجهة نظري أن الداعي لابد أن يكون ذا موقف معبّر عن دعوته وطبيعة سماحتها في كل نادٍ ووادٍ بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، فليست هذه المراتب إلا إحقاقًا للحق وبلاغًا للدعوة وقيامًا بما يجب على الدعاة من مسئولية الإرث الذي تحملوه عن النبي- ﷺ- فإنهم مبلغون عن الله ورسوله، من باب: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾[الأنفال: ٤٢].

وهذا يتضح في ضوء فهم حقيقة الأزمة (الثورة)، وفهم واقع المجتمع المتأزم، مع استدعاء تصور الإسلام لعلاج الأزمة، لأن الداعية مسئول بدرجة مصلح بحكم عمله الجماهيري في الحي الذي هو فيه حيث إن جمهور المسلمين يرون في بيت الله الملاذ والملجأ، ليسألوا عما اختلفوا فيه بغية أن يجدوا العلاج والحل في شرع الله الحنيف على لسان الداعية بالحكمة والموعظة الحسنة، وإن الداعية مسئول عن توجيه الأمة عامة وعن توجيه الناشئة وإصلاح ما فسد من أخلاق الناس خاصة، والرد على الشبهات، وبيان حكم الشرع في الأحداث والمواقف والقضايا المطروحة على الساحة.

* * *

الخاتمة

لا أدّعي ولا يمكن ادعاء قول الكلمة الأخيرة في هذه الدراسة، لكن حسبي أني بذلت الجهد في هذا المقام، والمجتهد مأجور على أي حال، وأقول مقالة الملائكة لربها: (سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[البقرة: ٣٢]، وأبين ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات.

أولا: النتائج:

- الثورة حدث فارق جديد على الثقافة الإسلامية السنية، فكثير من الأجيال اليوم لم يعيشوا هذا الحدث من قبل، وهي: (تغيير عام في المجتمع بغية إقامة مبادئ مفتقدة لأسباب دافعة وأهداف مرجوة)، بغض النظر عن قبول الدوافع والأهداف أو رفضها، سواء أكانت سلبية أو إيجابية.
- تصور الإسلام للثورة تصور إيجابي على مستوى الفرد (تغيير الفرد من أخلاق نفسه) أو على مستوى المجتمع (الإصلاح).
- الدعاة قبل ثورة يناير وبعدها في حاجة إلى تقويم، لتكون على مستوى الحدث، إذ تأثر البعض منهم بفكر الجماعات المتطرفة، وبدت لهم سمات في حاجة إلى بيانها.
- الداعية عند الثورة مستثار ليصلح ويتعامل مع الثائر بحكمة النبوة، لا بولع الطالب غُنمًا.
- الداعية له منهجية عند الاختلاف، لابد من فهمها وممارستها ليتقنها الدعاة.

تـلـيـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

- دور الدعاة المنشود يدور بين (تحقيق الإقناع)، ومسئولية البلاغ، ومسئولية الإصلاح، واستيعاب الأزمة في وقتها.

ثانيا: من التوصيات الضرورية لعموم المنفعة، بإيجاز هي:

- أوصي القائمين على إعداد الموسوعات الصادرة عن (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) باستكمال موسوعة أعلام الفكر الإسلامي بإيراد الكثير من أعلام الفكر المؤثرين في الثقافة الإسلامية بالإيجاب، ولم تورد أسماؤهم فيها أمثال الشيخ عطية صقر، والأستاذ خالد محمد خالد، والداعية إسماعيل صادق العدوي، جزاء ما قدموا للدعوة والإسلام، وحتى تطلع الأجيال القادمة على نبذة لطيفة من سير هؤلاء الأكابر عسى أن يقتدوا بهم، ولتحقيق تواصل الأجيال المنشود.

- أوصي نفسي وكل داعية على بصيرة، أن نكون سادة فكر وقادة رأي في المجتمع، فلا ينتهي الداعية من القراءة ما بقي داعيا لله، فالكتاب خير جليس والقراءة خير أنيس، ويكفي أن أول أمر في القرآن الكريم جاء بالقراءة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[العلق: ١]، وقد قال الله تعالى لسيد الدعاة وخيرهم- ﷺ- : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤]، وأن يكون للداعية نظر وتأمل وتصور لما يدور حوله من أحداث.

- حب الوطن فريضة دينية وضرورة اجتماعية، ليس ممالأة لسلطان ولا مزايدة في ذلك مطلقًا مهما تقوّل المتقوِّلون، وأدلة القرآن والسنة على ذلك متظاهرة أوضح من أن تسرد، وبيان البيّن بذاته عيب، فتتنفيذ

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧ Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

كل ما ينفع الدعوة في صالح الوطن وأهله، فهذا يعتبر من الأعمال الصالحة التي يؤجر الداعية عليها من الله تعالى يوم القيامة.

اللهم يا الله هذا جهدي ورؤيتي أُشهِدك – وكفى بك شهيداً – أني قدمت ما أراه صالحاً للدين والدعوة إليه، وما هو نافع للأمة الإسلامية والوطن الحبيب، فاقبل مني واعف عن زلاتي وأقل عثراتي ويشهد الله أني امتثلت قول خطيب الأنبياء شعيب – عليه السلام – حين قال الله تعالى على لسانه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[هود: ٨٨]، وصلاة ربنا وسلامه على أشرف الخلْق وحبيب الحق سيدنا محمد ﷺ، ذي الذكر الحسن والمقام العليّ والوجه البهيّ والقدر السنيّ، وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

وهذا ثبت بأهم المصادر والمراجع(1).

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: كتب السنة النبوية: واعتمدت فيها على (موسوعة المكنز) وهي تضم الجامع الصحيح للبخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وجامع الترمذي وسنن النسائي وابن ماجة وموطأ الإمام مالك).

ثالثا: من المصادر والمراجع الواردة بالدراسة ما يلي:

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، ط دار الغد العربي، ١٩٩٢.
- شرح صحيح الإمام مسلم، للإمام النووي، ط دار الحديث، ١٩٨٧ .
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، تحقيق خيري سعيد، ط المكتبة التوفيقية، بدون.
- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، تحقيق د.محمد الحفناوي، ط دار الحديث، ٢٠٠٢.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي البيضاوي، ط دار الكتب العلمية، ١٩٨٨.

(١) إيراد المصادر بحسب ورودها في الدراسة، راعيت فيها ذكر اسم الكتاب ثم المؤلف ثم الناشر ثم تاريخ النشر.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

- فـتح القـدير الجـامع بـين فـني الروايـة والدرايـة مـن علـم التفسـير، للشـوكاني، تحقيـق د. عبـدالرحمن عميرة، ط دار الوفـاء المنصـورة ١٩٩٧.
- التعريفات، للإمام الجرجاني، تحقيق إبراهيم الإبيـاري، ط دار الريـان بدون ١٤٠٣هـ.
- لسان العرب لابن منظور ، ط دار المعرف بدون.
- المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، تحقيق محمد الكيلاني، ط دار المعرفة بيروت، بدون.
- المصباح المنير، أحمد الفيومي، ط دار الحديث سنة ٢٠٠٣.
- مختـار الصـحاح، أبـو بكـر الـرازي، تحقيـق محمـود خـاطر، ط دار الحديث، بدون.
- معجم مصطلحات القرآن، وضع مجمع اللغة العربية، طبعة ١٩٨٩.
- المعجم الفلسفي، وضع مجمع اللغة العربية، طبعة ١٩٨٣.
- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود الطنـاحي، ط دار إحياء الكتب العربية، بدون.
- فلسفة الثورة في الميزان، عباس محمود العقاد، ط دار المعارف بمصـر، بدون.
- الإسلام والثورة، دكتور محمد عمارة، ط دار الشروق ١٩٨٨.
- قيمـة الفلسـفة الماركسـية مـن خـلال رؤيـة إسـلامية، دكتـور حسـن محرم، ط دار الهدى للطباعة ١٩٨١.

- المقدمـة، ابـن خلـدون، تحقيـق دكتـور عبدالواحـد وافي، ط هيئـة الكتاب، ٢٠٠٦.
- الأحكام السلطانية، الإمام الماوردي، ط دار الفكر، ٢٠٠٢.
- مصلحات الفكر الحديث، دكتور سامي خشبة، ط هيئة الكتاب، ٢٠٠٦.
- الأصـولية الإسـلامية في العصـر الحـديث، دليـب هـيرو، ترجمـة عبدالحميد فهمي، ط هيئة الكتاب، ١٩٩٧.
- الإمام زيد (حياته وعصره- آراؤه وفقهه)، للشيخ محمد أبو زهرة، ط دار الفكر، ١٩٥٩.
- التفكير الفلسفي في الإسلام، الإمام الدكتور عبدالحليم محمود، ط دار المعارف، ١٩٨٤.
- المذاهب الإسلامية، للشيخ محمد أبو زهرة، ط دار الفكر، ٢٠٠٩.
- إسـلام بـلا مـذاهب، دكتـور مصـطفى الشـكعة، ط الـدار المصـرية اللبنانية، ٢٠٠٧.
- من كنور العلم النافع، محمد هاشم العشري، ط مكتبة الجندي، بدون.
- الدولة المصرية والرؤية العصرية، دكتور مصطفى الفقي، ط هيئة الكتاب، ٢٠٠٧.
- الدين والدولة في مصر، دكتور عبدالمنعم سعيد، ط هيئة الكتاب، ٢٠٠٨.

- الحق المبين على من تلاعب بالدين، دكتور أسامة السيد، ط دار الفقيه، الإمارات ٢٠١٥.
- السلفيون والسياسة، دكتور محمد حافظ دياب، ، ط هيئة الكتاب، ٢٠١٥.
- الإسلام السياسي في مصر، دكتورة هالة مصطفى، ط هيئة الكتاب، ٢٠٠٥.
- موقف الأزهر الشريف وعلمائه من جماعة الإخوان، للباحث حسين القاضي، ط دار المقطم، ٢٠١٦.
- المصطلح الأصولي ومشكلة الفهم، دكتور علي جمعة، ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٦.
- البداية والنهاية، الإمام ابن كثير، ط دار الريان، ١٩٨٨.
- تاريخ الخلفاء، الإمام السيوطي، ط دار الفجر للتراث، ٢٠٠٤.
- إلى غير ذلك من المراجع الأخرى الواردة أثناء الدراسة.

والحمد لله أولا وآخرا، ، ،

الفهرس

المقدمة ٩٤٥
المبحث الأول: مفهوم الثورة في التصور الإسلامي ٩٥٢
المطلب الأول: معنى الثورة في اللغة ٩٥٢
المطلب الثاني: معاني الثورة في القرآن والسنة ٩٥٣
المطلب الثالث: تعريف الثورة ٩٦٨
المطلب الرابع: تصور الثورة في الفكر الإسلامي.................... ٩٧١
المبحث الثاني ٩٧٣
تصور الثورة عند أمهات الفرق الإسلامية ٩٧٣
المطلب الأول: الثورة عند الشيعة................................. ٩٧٣
المطلب الثاني: الثورة عند الخوارج............................... ٩٨٠
المطلب الثالث: فلسفة الثورة عند أهل السنة........................ ٩٨٢
المطلب الرابع: تصور الإسلام للثورة.............................. ٩٨٥
المطلب الخامس: شبهة والرد عليها ٩٩٠
المبحث الثالث.. ٩٩٣
توصيف الدعوة قبل الثورة وأثنائها................................ ٩٩٣
المطلب الأول: توصيف دعوة الدعاة العلماء ٩٩٣
المطلب الثاني: توصيف دعوة الدعاة الموظفين ٩٩٩

☎ تـليـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

المطلب الثالث: ظهور الجماعات الإسلامية أثناء الثورة ١٠٠٧
المطلب الرابع: توصيف الدعوة أثناء الثورة.....................١٠١١
المطلب الخامس: سمات الدعاة التي أفرزتها الثورة...............١٠١٥
المبحث الرابع..١٠٢٣
الدعاة بين الثورة ومنهجية الدعوة عند الاختلاف ١٠٢٣
المطلب الأول: الدعاة بين ثورة واستثارة.........................١٠٢٣
المطلب الثاني: منهجية الدعوة عند الاختلاف ١٠٢٤
المطلب الثالث: الدعاة والأزمات الفكرية.........................١٠٣٢
المطلب الرابع: نماذج دعوية وقت الأزمات......................١٠٣٤
المبحث الخامس...١٠٣٧
دور الدعاة المنشود ١٠٣٧
المطلب الأول: دور الدعاة في تحقيق الإقناع.....................١٠٣٧
المطلب الثاني: الدعاة ومسئولية البلاغ..........................١٠٤٠
المطلب الثالث: الدعاة ومسئولية الإصلاح ١٠٤٢
الخاتمة...١٠٤٤
قائمة المصادر والمراجع...١٠٤٧
الفهرس ١٠٥١

والحمد لله رب العالمين

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧